جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دراسات إسلامية
سلسلة تصدر
فى منتصف كل شهر عربى

كونوا خير أمة

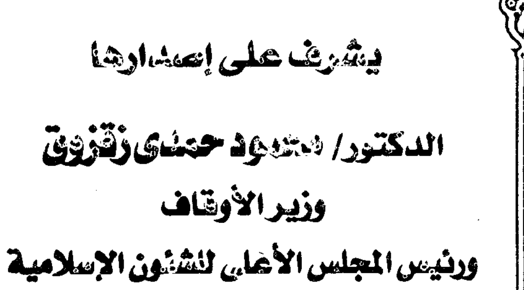
أ . السيد عبد الرؤوف

العدد (١٢٢)

الجزء الثانى

القاهرة

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م



يشرف على إصدارها

الدكتور/ محمود حمدي زقزوق

وزير الأوقاف

ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الدكتور/ عبد الصبور مرزوق

نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الجزء الثانى

يقول الله عز وجل فى كتابه الكريم : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون** ﴾ [1].

فى الآية الكريمة تكرر لفظ الإيمان بثلاثة تعريفات . فخيرية الأمة الإسلامية مرهونة بأمرها بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهذا لا يتأتى إلا من قلوب عامرة بالإيمان ونفوس مطمئنة بالأمن والأمان مفعمة بالتقوى ؛ لأن معيار الكرم والأفضلية عند الله تعالى هو التقوى لقوله عز وجل :﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾ [2].

والإيمان ليس مجرد شعور قلبى صامت أو حالة نفسية ساكنة . وإنما هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل . ولذلك قال

---

(١) آل عمران : ١١٠ .

(٢) الحجرات : ١٣ .

الله عز وجل فى كتابه الكريم : ﴿ **إن الذيـــن آمـــنوا وعملـــوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا** ﴾ [1]. فقد ورد ذكر الإيمان مرة واحدة وذكر العمل مرتين ، كما جعل الأجر للعمـــل الحسن وليس لمجرد الإيمان .

من هنا يتوجب علينا نحن أبناء الأمة الإسلامية أن نـــترجم إيماننا إلى عمل إيجابى قائم على العقل والعلم حتى نملك أسباب القوة وعوامل الردع ، وحتى ندير حوارا حضاريا موضوعيـــاً مع الآخر الحضارى والدينى من منطلق التكافؤ والندية . ونحن عندما نطالب الأمة الإسلامية بأن تكون خير أمة فإنما نفعل ذلك انطلاقاً مما أراده الله عز وجل لنا وطبقه أفضل تطبيـــق وأحكمـــه النبى ﷺ .

والله من وراء القصد ،،

وهو سبحانه وتعالى الهادى إلى سواء السبيل .

المؤلف

(١) الكهف : ٣٠ .

لماذا يحاربون الدعاة ؟ ـ ١

الأصل أن يكون دور المثقفين دورا بناء . وأن تكون الأقلام والكلمات موظفة لخدمة المجتمع وقضاياه والنهوض به وترشيد حركته ودفعه إلى الأمام وتمكينه من مواجهة التحديات التى تقابله سواء أكانت تحديات سياسية أو عسكرية أو اقتصادية أو اجتماعية . والأصل أنه لا يستطيع أى مجتمع أن ينهض ويحقق أهدافه وآماله وطموحاته بغير منظومة أخلاقية تعلى من شأن قيم العمل والإجادة واحترام الوقت والإقبال على العلم وقبول الآخر وتنمية المشاركة العامة لكل أفراد المجتمع رجالا ونساء دون تفرقة وتمييز إلا بالاحتكام للمواهب والملكات الخاصة والتأهيل العلمى والخبرات المكتسبة .

والأصل أننا عندما نتحدث عن الثقافة فى مصر إنما نتحدث عن الثقافة فى مجتمع إسلامى له تاريخه الحضارى الممتد عبر آلاف السنين والذى امتزجت فيه عناصر الحضارة الإسلامية بكل الحضارات والثقافات السابقة لها .

واستطاعت الثقافة الإسلامية أن تكون هى الثقافة العامة لكل أفراد الشعب المصرى مسلمين ومسيحيين بحيث لا يختلف

المسلم عن المسيحى إلا فى المعتقد الدينى وما يقضى بـــه مـــن شعائر وأحكام خاصة .

وهذا هو الفارق بين مصر باعتبارها بلدا إســـلاميا وبيـــن البلاد الأخرى ــ الغربية مثلا ــ من حيث مرجعية المنظومـــة الأخلاقية ومن ثم أساس الثقافة العامة .

ولا شك أن الثقافة المصرية مســـــتهدفة بعمليـــة تغريـــب وتسطيع فى مجالات عديدة . وأن بعض المثقفين يشاركون فـــى هذه العملية سواء بوعى أو بلا وعى . وبعض الأقلام التى كـان ينظر لها بالأمل فى أن تشارك مشاركة جـــادة فـــى صناعـــة منظومة ثقافية تحافظ على خصوصية المجتمع المصرى وتنفتح على الثقافات الأخرى بوعى أصبحت شبه متفرغة للنقـــل عـــن الآخرين ومحاربة الأصيل فى حياتنا . فمما يدعو للعجب مثـــلا أن هذه الأقلام لا تلقى بالا لعمليات تسطيح الفن وتمييع الـــذوق المصرى ولا تستوقفها الحفلات الصاخبة التى يحشد لـــها الآلاف من الشباب بكل أنواع الإغراء والإبهار الإعلامى ليمضوا ليالى الصيف يتمايلون ويتصايحون مع أنظمة الصوت المفزعة ومـــع كلمات إن نجت من الهبوط والإسفاف فإنها لا تنجو من التفاهـــة والتكرار ومع أصوات دخيلة على عالم الفن والطرب . ونفـــس

هذه الأقلام لا يعجبها من الدعاة القدامى إلا الأسماء المفروضة على الناس من خلال الشاشات والميكروفونات والمنتديات والمنابر وصفحات الصحف والمجلات حتى ملها الناس ولم يعودوا ينجذبون إليها بأى حال . بينما يفزع أصحاب هذه الأقلام إذا ظهر داعية شاب وألتف حوله الشباب فسرعان ما توجه له الاتهامات . وتنطلق نحوه سهام النقد والتجريح ومحاولات تحريض السلطات .

ولم يفكر أحد من هؤلاء فى أننا عندما نطارد هؤلاء الدعاة ونقطع الصلة بينهم وبين الشباب ، وهؤلاء الشباب صلتهم الوجدانية والعقلانية مقطوعة أصلا مع الدعاة التقليديين الذين أشرنا إليهم فإننا ندفعهم دفعا فى أحد اتجاهين : إما اتجاه التطرف حيث تتلقفهم الجماعات المتطرفة وتغسل عقولهم وتجعلهم رصيدا قابلا للانفجار وإما اتجاه التفاهة والسطحية والانحلال .

* * *

ونحن فى الحالتين نجنى على الشباب بل نضيع الشباب . وعندما نفعل ذلك فإننا نضيع مستقبل الوطن وعندما نطارد الدعاة الشبان أو بعضهم فإننا نكرر أخطاء دفع المجتمع ثمنها

غال . فإن الأمية الدينية كانت هى الأرض الخصبة والمناخ المناسب بل المثالية لغرس وتنمية الأفكار المتطرفة التى دفع المجتمع المصرى ثمنها باهظا . ومقاومة الأمية الدينية ربما تكون فى بعض الظروف أهم من محو الأمية الهجائية أو السياسية . ونحن بحاجة إلى تجديد فى الفكر وتجديد فى أساليب الدعوة الإسلامية وتجديد فى الوجوه . ويجب أن نشجع الدعاة الجدد وأن نصحح أخطاءهم ونصوب مساراتهم بالحوار والمناقشة والتوجيه وليس بالمنع والمطاردة وتوجيه سهام النقد والاتهام . إننا إذا أغلقنا فى وجوه الدعاة أبواب قنوات التليفزيون المصرى تتلقفهم الفضائيات العربية . وإذا منعناهم فى الصحف القومية فتحت لهم الصحف الحزبية والمستقلة والعربية صفحاتها . وإذ ضاقت عليهم استوديوهات الإذاعة فتحت الأرصفة أذرعها لاستقبال أشرطتهم . ونحن إذ نحارب هؤلاء الدعاة إنما نفعل تماما مثلما تفعل النعامة حين تخفى رأسها فى الرمال بينما جسمها بالكامل أمام الصياد .

ولا نملك إزاء هذه التناقض العجيب إلا أن نقول لأصحاب هذه الأقلام : " اتقوا الله " نعم اتقوا الله فى دينكم . واتقوا الله فى وطنكم .

لماذا يحاربون الدعاة ؟ ـ ٢

منذ بضع سنوات كان رئيس تحرير صحيفة دينية تصـــدر في دولة خليجية يجرى حواراً مع وزير الأوقاف المصـــرى . وقال الصحفى الخليجى إن بلاده تستقدم المئـــات مـــن أســـاتذة الجامعات ومدرسى العلوم الشرعية والأئمة والخطباء المصريين الذين يلقون **إقبالاً** فى بلده وفى غيرهـــا مـــن البـــلاد العربيـــة والإسلامية . وتساءل الصحفى : لمـــاذا لا تســـتضيف مصـــر بالمقابل أئمة وخطباء من بلاده وتتيح لهم الفرصة فى المســـاجد المصرية ؟؟

وعد وزير الأوقاف خيراً .. ولم يقل إن الـــدول العربيـــة والإسلامية والجاليات المســـلمة فـــى الغـــرب تطلـــب أســـاتذة ومدرسين وأئمة وخطباء مصريين لأكثر من ســـبب : الســـبب **الأول** هو النقص العددى فى هذه التخصصات العلمية بهذه البلاد وما يقابله من وفرة من خريجى هذه التخصصات فى مصر بلـــد الأزهر الشريف الذى يمثل منارة إســـلامية عاليـــة . والســـبب **الثانى** : أن هؤلاء الأساتذة والأئمة من الدعاة يلقون قبولا اكـــثر

بسبب اللهجة المصرية المقبولة والمفهومة فـــى معظـــم البـــلاد العربية وكثير من البلاد الإسلامية . والسبب **الثالث** هو ما يعبر عنه هؤلاء من طبيعة مرنة ومتسامحة كان لها أثرها فى مرونة الفكر الإسلامى النابع من مصر . والسبب **الرابع** والأخير أنـــه فى مجال الخطابة والدعوة لا يمكن فرض خطيب معين بدليـــل أن هناك خطباء يلتف حولهم الألوف من المصليـــن ويذهبـــون وراءهم حيث يذهبون ويفتقدونهم إذا غابوا ، وثمة خطباء وأئمة لا يكاد يشعر بوجودهم أحد لأنهم مجرد مؤديـــن لا يمتلكـــون موهبة اجتذاب الجماهير والتأثير فيهم . وهذه الموهبة منحة من الله لا تتوافر إلا للقليلين .

* * *

وطويت صفحة هذه القصة وكان لابد من أن تطـــوى لأن كل داعية متميز يمثل ظاهرة فردية مستقلة رغم أن مادة الدعوة واحدة وقواعدها وأساليبها معروفة وهى منطلقة من القواعد التى أرساها القرآن الكريم وطبقها عمليا النبى ﷺ وصحابته .

الداعية المتميز لابد من أن يتمتع بما يسمونها " الكاريزما " أى المواصفات والمؤهلات الشخصية التى تجعل الإنسان مقبولاً

ومتميزاً ومؤثراً فى الآخرين . وهؤلاء قليلون فـــــى مجـــالات السياسة والفكر والأدب وكذلك الدعوة بالطبع .

ومن الطبيعي أن يلقى الدعاة الحقيقيون المتميزون القبـــول والحب من عامة الناس . وقد يلقون القبول والحب ذاتهما مـــن الخاصة ومن بعض أهل النفوذ والسلطان والجاه والثراء . ولكن من الطبيعى أيضاً أن يثير نجاحهم الغيظ والحسد من مخالفيـــهم فى الرأى أو التوجه أو من المنافسين لهم الذين يتوهمـــون أن " كعكة " الدعوة لا تقبل القسمة وأن ميدان العمل الدعوى لا يقبـل المنافسة والاجتهاد ويظنون أن نجاح بعض الدعاة فى اجتـــذاب مشاعر الجماهير من شأنه أن يطفئ بريقهم ويقطع رزقهم وكأن الدعوة تجارة وتكسب وليست تضحية وإنكارا للذات وسيراً على نهج رسول الله ﷺ .

* * *

وقد كان الشيخ محمد الغزالى رحمة الله عليه ذا نظرة ثاقبة ورؤية بعيدة عندما أصدر كتابه المهم " هموم داعية " الذى أورد فيه ملاحظاته على ما تعانيه الدعوة ورجالها الحقيقيـــون مـــن متاعب جمة وما تنوء به كواهل الدعاة من همـــوم . وتـــاريخ الدعوة هو تاريخ من المعاناة والتضحيات حتى وإن بـــدا غـــير

ذلك . فلقد هوجم الشيخ الغزالى والشيخ محمد متولى الشعراوى والشيخ إسماعيل صادق العدوى وتعرض البعض منهم لأبشع الاتهامات ودخل البعض منهم السجون والمعتقلات فى عهود سابقة . وتعرض آخرون للفصل من أعمالهم . ويرى الدعاة الحقيقيون أن هذه هى ضريبة الدعوة .

وكما هوجم هؤلاء الدعاة الكبار يتعرض دعاة شباب للهجوم من كل جانب . فما أن ظهر عمرو خالد حتى اجتمع عليه الشباب . وعندما منع من الخطابة فى أحد المساجد بالمهندسين ذهب وراءه الآلاف من الشباب إلى مسجد فى مدينة السادس من أكتوبر . وحين أغلقت فى وجهه أبواب التليفزيون المصرى تلقفته القنوات الفضائية العربية ودفعت له أضعاف أضعاف ما كان يحصل عليه . ونفس الأمر تكرر مع الداعية الإسلامى الحبيب على الجفرى . فقد برز اسم الرجل فجأة رغم أنه يزور مصر ويخطب فيها منذ عشر سنوات . ولكن تقديمه فى القناة الأولى بالتليفزيون المصرى ثم تخصيص برنامج له فى قناة مصرية خاصة ألقى عليه مزيداً من الضوء . ولعل صحيفة عقيدتى كانت أول صحيفة مصرية تبادر باستضافة الحبيب على الجفرى بهدف مناقشته والتعرف على أفكاره

ومنهجه الدعوى حيث بدأ ألقاء الطوب عليه ومحاولة إهالة التراب على صورته الدعوية .

والعجيب فى الاتهامات التى كانت قد وجهت للشيخ محمد متولى الشعراوى هى ذاتها التى وجهت للدكتور زغلول النجار ثم إلى عمرو خالد والحبيب على الجفرى وغيرهم . ومن السهل كشف أصحاب هذه الهجمات الذين لا يروقهم الدعاة التقليديون والدعاة الجدد على حد سواء فهم ليسوا ضد أحد بذاته بل هم ضد الدعوة فى ذاتها وضد كل ما يرمز لها . وهم أشبه براعى الغنم الكذاب الذى لا يفتأ يصيح فى شوارع القرية : الذئب قادم .. والذئب هنا هو الدعوة الإسلامية التى إذا وجهت التوجيه الصحيح فإنها تكون الأداة الأقوى والأهم والأكثر فاعلية فى تحصين شبابنا ضد غزوات التحلل والانحلال التى تقذف بها علينا أمواج الإعلام الغربى . وهم فى الوقت الذى يهاجمون فيه الدعوة والدعاة يصمتون صمتاً مريباً عن كل ما فيه مفسدة لشبابنا .

وإذا كان عجيباً أن أصحاب هذه الهجمات لا يستحون من أن يشهروا سيف الكذب فى وجه كل من يبرز اسمه فى مجال الدعوة فالأعجب والأكثر إيلاماً إن يقال أن بعض مدبرى

الهجمات ضد الدعاة هم من الدعاة . وإن كان التـــاريخ يحمــل الكثير من القصص التى تعزز هذه الشبهة فإننا لا نرغب فـــى تصديقها خاصة وأن مجال الدعوة الآن اكثر اتساعاً من ذى قبل وأن أبواب الرزق مفتوحة للجميع وأن الله سبحانه يرزق مـــن يشاء بغير حساب . ونحن ندعو ونأمل أن تكون المنافسة بيـــن الدعاة نموذجاً يحتذى ومثلا يقتدى به . فالدعاة علماء والعلمـــاء ورثة الأنبياء وطريق الأنبياء هو طريـــق الخـــير والصـــلاح والفلاح . أما الذين يهاجمون الدعاة كراهية فى الدعوة وبغضـــا فى كل ما هو إسلامى فهؤلاء حسابهم عند الله .

من يراقب الدعاة ؟

المؤمن كيِّس فطن . يعرف ماذا يريد أن يقـــول ويحســـن اختيار الوقت والطريقة والأسلوب للتعبير عما يريد قوله كـــــى يوصل رسالته من أقصر طريق وبـــأبلغ عبـــارة . وإذا كـــانت الفطنة والكياسة مطلوبتين فى المتحدثين بصفة عامة فهما فـــــى الخطباء مطلبان أساسيان وشرط حيوى لنجاح مهمة الخطيـــــب الذى عليه أن يتمثل دائماً القاعدة التى تقول إن الإيجـــــاز فـــى موضع البيان مخلٌ وإن الإطناب فى موضع الإيجاز مملٌ .

والفطنة والكياسة هما أساس نجاح الأئمة والدعـــاة الذيـــن يحملون أسمى رسالة ويخاطبون الناس بأقدس المعانى ويـــؤدون أجلّ خدمة وهى الدعوة إلى الله . ويعتلون أشرف المنابر وهـــو منبر رسول الله ﷺ . وعليـــــهم أن يجتذبـــوا إليـــهم الأســـماع والأبصار والأفئدة حتى تصل كلماتهم إلى عقول الناس وقلوبـــهم فى سهولة ويسر وحتى تتفتح بينهم وبين النــــاس ســـبل الفـــهم والتفاهم وحتى يســـتطيعوا فـــى النهايـــة أن يقـــودوا المجتمـــع وخاصة الشباب إلى طريق الرشد والهداية .

وقد أدى الأئمة والدعاة على مدى التاريخ دوراً هاماً فـــى التوجيه والتنوير . ولكن جاء وقت تجمد فيه الفكـــر الدعــوى واكتظت المساجد بخطباء وأئمة محصورين داخل أوراق الكتب الصفراء منعزلين عن واقع المجتمع وتطورات الحياة . وتجمـد خطابهم عند حد التخويف والترهيب تـــاركين خلفـهم أسـلوب التحبيب والترغيب ناسين أو متناسين التوازن البليغ فى القـرآن الكريم والحديث النبوى الشريف بين أحاديث الثواب والعقـــاب وبين الجنة والنار وبين القدرة والرحمة وبيـــن القـوة والحلـم فانصرف كثير من الناس وخاصة الشباب عن هـــؤلاء الدعـاة ليقعوا فى براثن الفكر المتطرف أو لينصرف بعضهم إلى اللـهو والانحلال .

وفى سعى مخلص لعلاج هذا القصور الخطير بذلت الدولة عناية خاصة بأمور الدعوة والدعاة . وقـامت وزارة الأوقـاف بقيادة العالم الفاضل الدكتور محمود حمدى زقزوق ومن قبلـــه عالم فاضل آخر هو الدكتور محمد على محجوب بجهود حثيثـة للعناية بالأئمة والدعاة من حيث تحسين مستوى دخلهم ومستوى تحصيلهم العلمى وظهورهم بالمظهر اللائق والمحترم . وشهدت السنوات الأخيرة إضافات هامة وحيوية تشهد بالرغبـة الجـادة

والعزيمة المخلصة على النهوض بالدعوة والدعاة مادياً وفكرياً وعلمياً . وأصبحت الدورات التدريبية جزءاً أساسياً من واجبات جهاز الدعوة . وشهد التعيين فى وظائف الأئمة والدعاة لأول مرة مسابقات يجرى فيها اختبار خريجى جامعة الأزهر والتدقيق الشديد فى الاختيار والعناية بحفظ وفهم القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وأطراف من العلوم الشرعية حتى يكون الإمام قادراً لا على إلقاء خطبة مكتوبة فحسب ولكن على مناقشة القضايا المختلفة والإجابة على أسئلة السائلين . وفى كل عام يتقدم الألوف للمسابقة السنوية التى تعلن عنها الوزارة ورغم الحاجة الماسة لتعيين المزيد من الأئمة لتنفيذ سياسة الوزارة فى ضم المساجد فإن نسبه النجاح فى المسابقة السنوية لا تتجاوز فى أحسن الحالات ثلاثين بالمائة بسبب التشدد والتدقيق فى اختيار الأئمة وهذا أمر يحمد للوزارة وإن كان يحسب على الجامعة التى تنتج خريجين لا يصلحون لأداء المهمة التى أنشئت كليات الجامعة لتأهيلهم لها .

استحضرت هذه المعانى كلها خلال صلاة الجمعة فى واحد من المساجد القديمة الكبيرة وهو مسجد الشيخ بخيت فى حلمية الزيتون وهو مسجد تناوب على الخطابة فيه عبر تاريخه

نخبة من كبار الخطباء ثم تراجع حتى صار من مساجد الدرجة الثالثة أو أدنى . المهم حين توافد المصلون ومن بينهم بالطبع خطيب المسجد كان المطر يتساقط رذاذاً ثم بدأ يتزايد وصار يهطل بغزارة . واحتشد المصلون داخل المسجد الذى لم يعد يتسع لأكثر من نصف المصلين . واضطر الآخرون إلى الجلوس أو الوقوف فى ملاحق المسجد المسقوفة بالصاج والتى ظلت تتساقط منها المياه حتى أغرقت الأكلمة بل وأغرقت المصلين أنفسهم . ورغم أن المصلين نبهوا الخطيب فإنه ظل يطيل ويعيد ويزيد ليضيف إلى أخطائه فى الإعراب وأحياناً فى تلاوة القرآن خطأ الإطالة فى ظرف يقتضى الاختصار والتخفيف عن الناس . ثم أخذ يطيل فى تهيئة الناس والطلب منهم التزام الصف وسد الثغرات واطمئنان القلب والهدوء والسكينة ثم الإطالة بعد ذلك فى الصلاة ونصف المصلين يقفون ويركعون ويسجدون وسط المياه. ونفس الخطأ الذى وقع فيه هذا الخطيب وقع فيه خطباء آخرون فى نفس المنطقة ومن المحتمل أن يكون وقع فيه خطباء فى أماكن أخرى . وهؤلاء جميعاً بعيدون عن نص ومعنى الحديث النبوى الشريف القائل :

" **من أمَّ الناس فليخفف فإن وراءه المريض والضعيف وذا الحاجة .. إلى آخر الحديث الشريف** " .

وكأنهم لا يدركون معنى قوله تعالى : ﴿ **يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً** ﴾ [١] .

إن مثل هذا الخطيب يجب أن يكون محل محاسبة فإن مهمة الخطيب هو أن يجتذب الناس لا أن ينفرهم وأن يخفف عنهم لا أن يثقل عليهم وأن يدرك أنه ليس قطاراً بلا سائق وهو يتجه إلى محطته النهائية دون نظر إلى اختناق الركاب داخله . بل هو بشر يفترض فيه أن يكون على درجة كافية من الكياسة والفطنة اللتين هما من صفات المؤمنين .

---

(١) النساء : ٢٨.

الدعاة بين اللغة العربية واللغات الأخرى

قرر محمد إيدن وزير الشئون الدينية فـى تركيـا قصـر التعيين فى وظائف الإفتاء بالمدن التركية الكبرى على أشـخاص يجيدون ثلاث لغات أجنبية ، وأرجع مصدر تركى مسئول هـذا القرار إلى عدم قدرة مفتى اسطنبول على شرح المعالم الدينيـة الموجودة فى المدينـة للسـيناتور هيـلارى كلينتـون عضـو الكونجرس الأمريكى وزوجة الرئيس الأمريكى السـابق بيـل كلينتون خلال زيارتها الأخيرة لاسطنبول مما تسبب فى حـرج بالغ .

وقد يكون قرار وزير الشئون الدينية التركى متشدداً فيمـا يخص اشتراط معرفة المفتى بثلاث لغات أجنبية . ولكنـه فـى الوقت ذاته يؤكد أهمية وفائدة معرفة اللغات المختلفة فى العمـل الدعوى ، فإن معرفة اللغات هى أقوى سلاح للداعية .

وثمة فى الأثر أن " من عرف لغة قوم أمِنَ مكرهم — أو قيل أمن شرهم " وهذه إحدى الفوائد الكثيرة لمعرفة اللغات . فهذه المعرفية هى سبيل التواصل وباب التفاهم وأداة توصيل المعلومة الدينية مباشرة ودون وسيط وهى أيضاً وسيلة الداعية لمعرفة طبائع وعادات وتقاليد الشعوب وأقرب وأقصر طريق للوصول إلى عقولهم وقلوبهم ، وجهل الداعية وعدم تزوده بلغة أو أكثر خاصة إذا كانت لغة القوم الذين يدعوهم فإنه يحتاج إلى مترجم مما يعرض رسالته للنقص والتشويه والتحريف سواء تم ذلك بقصد أم بدون قصد . وكلما علا موقع الداعية وكبر منصبه وزادت مسئولياته ازدادت حاجته لمعرفة اللغات لأن اتصالاته تتزايد ومعارفه تتعدد عليه والاعتماد عليه يتضاعف وتعامله مع الشخصيات الأجنبية يتكرر بشكل مخطط أو عفوى . وجهله باللغات يجعله بحاجة لمن يترجم له وعنه مما يقلل من فاعلية حواره مع الآخرين ، وقد جاء زمان صارت فيه الاتصالات والمناقشات والمحاورات مع الآخرين باللغات المختلفة ضرورة حيوية خصوصاً بعد ما كشفت عنه أحداث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ من جهل الغرب بمبادئ وقيم الإسلام وتشويه متعمد ومستمر لهذه المبادئ والقيم

واتهامات ظالمة للإسلام بالتشدد والعنف والإرهاب واتـــهامات باطلة للمسلمين بالتخلف والتطرف .

وقد رأيت بنفسى دعاة ممتازين ومسئولين كباراً فى المجال الدينى يفيضون علما ويتميزون خلقاً لكنـــهم يفتقـــدون معرفـــة اللغات فكان ذلك نقطة ضعف فى أدائهم . ولذلك فقد أحســـنت جامعة الأزهر صنعاً عندما أنشأت كليـــة اللغـــات والترجمـــة للبنين وقسماً موازيا لها فى كلية الدراسات الإنسانية للبنـــات .. وأحسنت صنعاً عندما أنشـــأت أقســـاماً للدراســـات الشـــرعية باللغات الأجنبية بدأت باللغة الإنجليزية ثم الفرنسية والألمانية .. ولعلها تكون الآن قد أضافت لغة أو لغات أخرى .. وأحســـنت يوماً عندما قررت إلزام دارسى الدراسات العليـــا فـــى جميـــع الكليات الشرعية وغيرها ــ بالحصول على شهادة التويفل فـــى اللغة الإنجليزية كشرط للحصول على شهادة الدكتوراه ، وكانت هذه خطوة طيبة وهامة إذ لا يعقل أن يســـافر أســـتاذ أزهـــرى متخصص حامل للدكتوراه إلى إحدى الدول الغربية أو غيرهـــا وهو لا يحسن التعبير عن نفسه بإحدى اللغات العالمية ، بينمـــا الآخرون لا يجدون أدنى صعوبة فى التعامل باللغات المختلفة .

وكانت نكسة لا مبرر لها عندما ألغت جامعة الأزهر شرط الحصول على هذه الشهادة للحصول على الدكتوراه . وأتمنى أن يعود هذا الشرط وأن تتشدد فيه الجامعة حتى تنشئ جيلاً جديداً من العلماء المتخصصين فى كل المجالات . وفى مقدمتها المجالات الشرعية ــ القادرين على التحدث والتخاطب باللغات الحية .

وأتمنى أن تحظى دراسة اللغات بعناية أكبر فى مرحلة الدراسة قبل الجامعية فى الأزهر لأن المرحلة هى مرحلة التأسيس والبناء الأساسى . فإذا لم يحصل الطالب أو الطالبة على القدر الكافى من المعرفة باللغات فى هذه المرحلة فمن الصعب تعويض ذلك فى المرحلة الجامعية . كذلك أرجو أن يكون اجتياز اختبار متكامل فى اللغة الإنجليزية أو لغة أوروبية أخرى شرطاً أساسياً من شروط بعثات الأزهر ووزارة الأوقاف للبلاد المختلفة . فالدعاة الموفدون للدول المختلفة دون دراية باللغات هم فى الواقع أنصاف دعاة وربما أقل .

وقد يكون طموحا زائدا أن نطالب بأن تكون دراسة الحاسب الآلى ومعرفة الإنترنت جزءا من الدراسة فى جامعة الأزهر : ولكن وزارة الأوقاف أدركت قيمة هذه الدراسة

فنظمت دورات متخصصة فيها للدعاة وهذه خطوة تحمد لوزارة الأوقاف وتستحق التحية والتشجيع .

والحديث عن ضرورة معرفة اللغات الأجنبية يجب ألا يشغلنا عن أهمية نشر اللغة العربية فهى ليست مجرد مكون أساسى من مكونات هويتنا وإنما هى لغة القرآن وهذا يكفيها فخراً بين اللغات كما أنه يشكل سبباً كافياً للعناية بها وبعلومها والعمل على نشرها وقد سعدت حينما زرت ماليزيا منذ عامين لحضور ملتقى العلماء العالمى وعلمت أن فى الجامعة الماليزية قسما لتدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها . وأن عدداً من الأساتذة المصريين يعملون فى هذا القسم .

وسعدت عندما تعاملت مع أشخاص كثيرين فى مواقع علمية وعملية مختلفة ورأيت أنهم يتحدثون اللغة العربية ويدينون بالفضل فى ذلك للأزهر .

بين الإسلام والعربية

الارتباط بين الإسلام والعربية ارتباط عضوى . ولا يمكـــن لأحد أن يفصل بينهما . فالإســـلام روح العربيـــة والعروبـــة . واللغة العربية هى وعاء الإسلام ووسيلة التعبير عنه . فبها نزل القرآن الكريم وبها يقرأ ويفهم على وجهه الصحيح . ولو شــــاء الله تعالى أن ينزل كتابه بلغة غير العربية لفعل فهو القادر علـــى كل شىء وهو الفعال لما يريد . ولو أراد الله أن يختار نبياً غير محمد ﷺ لكان ما أراد الله فهو الفعال لما يريد وهو الذى يقـــول للشىء كن فيكون . ولو قضى بأن تكون الرسالة فى أمة غــــير هذه الأمة لكانت فهو الذى يصطفى من الملائكة رســــلاً ومــــن الناس .

ولكن لحكم جليلة اختار الله عز وجل أن يجعـــــل رســـالة الإسلام تنطلق من بين العرب وأن يجعل القرآن بلسان عربــــى مبين . وأن ينزل الوحى على محمد بن عبد الله ﷺ وكان هــــذا الاختيار تشريفاً للغة العربية وللأمة الإسلامية . وكان فـــى ذات الوقت تكليفاً . وهذا أمر طبيعى . فكل تشريف لابد من أن يقابله

فى ذات الوقت تكليف . ومن هنا اقترنت خيرية الأمة الإسلامية بواجبات وفروض محددة نصت عليها الآية الكريمة : ﴿ **كنتـــم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خـــيراً لـــهم منـــهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون** ﴾ [١] .

هذا التلازم والارتباط العضوى بين اللغة العربية والإسـلام اقتضى أن يعنى العرب بهذه اللغة نحواً وصرفاً وبلاغة وبيانـــاً وإنشاء . وأن تنشأ وتنمو علوم متعددة ذات ارتباط باللغة وعلوم أخرى مرتبطة بالقرآن الكريم . وأن تتعدد التفاســـير اللغويـــة والأدبية والبلاغية لكتاب الله فضلاً عن التفاسير الموضوعيـــة والتفاسير التى تركز على الأحكام . واقتضى كذلـــك أن تنمـــو اللغة العربية ، وتتطور بشكل مستمر حتى تكون قـــادرة علـــى استيعاب متغـــيرات ومســـتجدات الحيـــاة وتطـــورات العلـــوم والحوادث ، واقتضى أيضاً أن تنشـــط حركـــة الترجمـــة فـــى اتجاهين : اتجاه ترجمة العلوم والآداب المختلفـــة إلـــى اللغـــة

---

(١) آل عمران : ١١٠ .

العربية . واتجاه ترجمة معانى القرآن الكريم ومن بعـــده الأدب العربى والإنتاج الفكرى العربى من العربية إلى لغات العالم .

وبقدر ما توافرت للغة العربية جهود مخلصة من المسلمين عرباً وغير عرب فقد تعرضت هذه اللغة لحملات ظالمة تتهمها بالجمود والتخلف عن مسايرة التطور العلمى والأدبى . وتعددت هذه الحملات وتباينت صورها ومجالاتها . فقد ظهرت دعــوات لكتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية مثلما حدث للغة التركيـــة وغيرها . وظهرت دعوات لتغليب اللهجات المحلية على اللغـــة الفصحى . وظهرت دعوات للاعتراف بلغـــات غـــير عربيـــة كلغات بديلة للعربية باعتبارها معبرة عن ثقافات محليـــة غـــير عربية . ولكن أغلب هذه الدعوات لم يكتب لها النجـــاح رغــم الإلحاح المستمر فى محاولة فرضها . وفى الوقت الذى تجـــرى فيه هذه المحاولات فإن جـــهوداً مخلصـــة تبـــذل مـــن جـــانب المؤسسات والمنظمات الإسلامية العربية وغير العربية بل وغير الإسلامية أيضاً لتعليم اللغة العربية للمسلمين ــ وغير المسلمين أيضًا ــ غير الناطقين باللغة العربية . وأصبح إنشـــاء أقســام للدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الغربية الآن أمــــرًا مألوفًا ومقبولاً .

وسبحان الله العظيم . ورب ضارة نافعة . فـإن أحـداث الحادى عشر من سبتمبر عـام ٢٠٠١ التـى أطلقـت مـا رد الكراهية للإسلام والمسلمين من قمقمه وفتحت الباب أمام الآلـة العسكرية الجهنمية الأمريكية لكى تنطلق بشرورها لتحتاج الأمة العربية والإسلامية هى ذاتها التى فتحت الباب أمام المجتمعـات الغربية لكل تتساءل عن هذا الدين المتهم بأنـه العـدو البديـل والخطر الأخضر وعن هؤلاء البشر الذين اختاروا الموت بديـلاً للحياة . وكان أن أصبحت الكتب التى تتعلق بالإسلام والقـرآن والسنة هى الأكثر مبيعًا فى مكتبات الغرب . وأن تضاعف عدد المقبلين على اعتناق الإسلام فى الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة .

وهذا فى حد ذاته يلقى على المؤسسات العلمية والتعليميـة والثقافية والإعلامية الإسلامية بصفة عامـة والعربيـة بصفـة خاصة مسئولية مضاعفة جهودها للتعريف بالإسـلام ومبادئـه وقيمه وأخلاقياته وآدابه وأحكامه فى كافة القضايا التى تطرحـها الأحداث المستجدة فى حياة البشرية ، وفى إقامة جسور الفـهم والتفاهم مع العالم . فهذا لون جميل وجليل وإيجابى من ألـوان

الجهاد ؛ فالجهاد ليس مجرد حمل السلاح . ولنتعلم من أعدائنـــا كيف نكسب معركتنا بلا حرب . وصدق الله العظيم إذ يقـــول : ﴿ **إنا نحن الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ [1] .

(١) الحجر : ٩ .

الإسلام وتكريم المرأة ـــ ١

انتهت اجتماعات ومناقشات مؤتمر " مائة عام على تحرير المرأة " الذى نظمة المجلس الأعلى للثقافة الذى يفترض أنه يمثل ويضم صفوة مثقفى مصر ويعبر عن روح ثقافتها ويمثل جهازا يشارك بفاعلية فى الانتقال بمصر إلى القرن الجديد والألفية الجديدة فى وثبة حضارية كبرى .وهذا المؤتمر كان يمكن أن يكون فرصة تاريخية لانطلاقة جديدة فى حركة المرأة المصرية والعربية تجاه قضاياها الحيوية وتصحيح ما قد يكون قائما من أخطاء أو انحرافات فى مسيرة المرأة وتمكين المرأة من القيام بدورها والحصول على حقها فى التنمية والديمقراطية أسوة بالرجل وجنبا إلى جنب مع الرجل وفى إطار حقيقة أننا مجتمعات إسلامية وأن أحكام الدين فى جوهرها هى عصمة للإنسان ــ الرجل والمرأة على حد سواء ــ وحماية له وتمكين ..

ولكن المؤتمر انحرف عن الطريق والمسار الطبيعى الذى كان يمكن بل ويجب أن يمضى فيه لتحقيق أهدافه ولكنه بدلا من ذلك انحرف إلى مهاترات وأكاذيب ومغالطات وممارسات ضد

الدين بل ضد القيم الأخلاقية وضد المرأة وقضاياهـــا ذاتـــها .. وتحولت الأصوات الناعية فيه عن أن تكون منظومة تضيف إلى قضايا المجتمعات العربية والمرأة فى قلبها بالطبع إلى أن تكـــون مجرد زوبعة فى فنجان مشروخ أو مجرد غناء فج داخل جدران البيت .. فلا هى كسبت أرضا ولا نالت رضا على أى مســتوى من المستويات .. فلا المرأة المسلمة اعتبرت هذا المؤتمر معبرا عنها بأى حال ولا المنتميات للتيارات الليبرالية اعتبرن المؤتمر محققا لأى إضافة لقضاياهن الحيوية : المساواة فى التعليـــم — المساواة فى الحقوق الأساسية — المشاركة السياسية المتنامية — الفوز بنصيب أكبر فى التنمية وعائدهـــا — ظـروف العمـل الأفضل .. إلخ . فماذا بقى من المؤتمر غير سوء السمعة الـذى اعترفت به .. وكما أشرت فى مقال سابق فإن المؤتمر أعلـــن فشله من خلال العجز عن الوصول إلـــى توصيـات أو بيـان أو نداء رغم أن الوصول إلى شىء من ذلك كان يمكن أن ينقـذ ماء وجه منظمى المؤتمر ويبرر ما أهدروه من أموال الشـــعب المكافح بل يبرر وجودهم فى مناصبهم .غير أننـــى المـاضى تلقيت العديد من المكالمات الهاتفية التى يندد أصحابها بـالمؤتمر ويبدى كثير منهم الرغبة فى الكتابة فى عقيدتى .. ولكن أهم مـا

طرحه بعض المتحدثين معى بضعة أمور أردت أن أسجلها قبل أن أغلق الملف .

** **الأمر الأول** أن هذا المؤتمر هو مجرد حلقة فى سلسلة نشاطات " ثقافية " تشمل العديد من المؤتمرات والنشرات والكتب التى تتخذ من قضايا المرأة وإنصافها ستارا لمهاجمة الإسلام بشكل مباشر أو غير مباشر .. وما ذكرى كتاب تحرير المرأة إلا مجرد مناسبة تستغل فكأنه حصان طروادة .

** **الأمر الثانى** أن هذه الأنشطة تحمل زورا شعار التنوير .. وهو ذات الشعار الذى انطلقت تحته الدعوة للاحتفال بمرور مائتى عام على الحملة الفرنسية باعتبار هذه الحملة من وجهة نظرهم بداية التنوير فى مصر والوطن العربى وتجاهل هؤلاء أن الحملة لم تكن سوى غزوة استعمارية لها أهدافها من نهب لثروات مصر إلى تأمين طريق مختصر لكنوز الشرق .. وما قافلة العلماء التى رافقت الحملة إلا أداة فى خدمة الأهداف الاستعمارية قبل أى هدف علمى مجرد .

** **الأمر الثالث** أنه فى الوقت الذى تنطلق فيه هذه الأنشطة وتتمتع بالإمكانات المادية والبشرية نجد أن مناسبة عظمى تكاد تمضى دون أن يعيرها أحد اهتماما وكأننا نخجل

منها إلا وهى مرور أربعة عشر قرنا على الفتـــح الإســلامى لمصر وهو الفتح الذى قوى بالإسلام وعزت به مصر.. ولقــد طرحنا فكرة الاحتفال بهذه المناسبة الجليلة فى عقيدتـــى منــذ عامين وناقشنا فيها علماء الدين من مسلمين وأقبــاط ووجدنــا قبولا بل حماسا للفكرة .. وكان يمكن أن تكــون هــذه الفكــرة منطلقا لسلسلة من الفاعليات الكــبرى والحــوارات الإســلامية المسيحية محليا وعالميا مما يثرى تاريخ مصر والإسلام وينمــى روح الحوار والتفاعل بين الأديان ويؤكــد عموميــة الإســلام وخصوصية مصر التى كانت دائما تعبيرا فــذا عــن ســماحة الإسلام وعن أخوة الأنبياء عليهم سلام الله وعن التلاحم والوحدة الوطنية وعن الإمكانية المتفردة للتعدد فى إطار الوحدة .كان هذا كله ممكنا .لكنه ــويا أسفى ــ لم يحدث وما زالت الفكرة تتخبط هنا وهناك ولا يدرى أحد متى ترى النور ..لهذه الأسباب كانت عودتى للكتابة فى موضوع مؤتمر المرأة .. وأرجو ألا نحتــاج إلى مزيد من الكتابة عنه فهو كما أشرت فى البداية لا يســتحق .. وأمامنا من قضايا وهموم الأمة الإسلامية ما يجعل الدخــول فى مزيد من النقاش حول مثل هذا المؤتمــر مضيعــة للوقــت والجهد .

الإسلام وتكريم المرأة ـ ٢

معصومة ابتكار .. زهراء شجاعى .. فاطمة وفايزة رافسنجانى .. سميرة مخما لباخ .. وأخيرا : شيرين عبادى نساء إيرانيات ومضن كالشهب فى مجال العمل العام سواء أكان ذلك على المستوى المحلى أو على المستوى العالمى . فالأولى والثانية نائبة ومستشارة رئيس الجمهورية .. والثالثة والرابعة تقودان العمل الاجتماعى والرياضى وإحداهن رئيسة اتحاد كرة القدم النسائية فى إيران .. والخامسة شابة فى العشرينيات تعمل مخرجة سينمائية نالت أعمالها الأولى جوائز عالمية .. أما السادسة فقد حصلت على جائزة نوبل للسلام .

وهؤلاء السيدات لا يمثلن كل نساء إيران . ولكنهن مجرد نماذج ، ومن المؤكد أن هناك آلافا من النساء البارزات فى مجالات كثيرة .. وأن وراء هذه الآلاف ملايين من النساء المتعلمات والعاملات فى مختلف الميادين . وأن وراء تعليم وعمل المرأة فى إيران ثقافة مجتمع سمحت بهما وأتاحت الفرصة للمرأة لكى تتعلم وتعمل وتتفوق .

ومصر أيضا كانت ومازالت رائدة فيما يخص المـــرأة .. وقد مضى أكثر من قرن من الزمان على تعليم المرأة .. وعلـــى مدى هذه الفترة حصلت المرأة على كل أنواع التعليـــم ونـــالت أعلى الدرجات العلميـــة وعملـــت فـــى جميـــع التخصصـــات والمجالات حتى مجال الدراسات الشرعية الـــذى ظـــل قرونـــا طويلة حكرا على الرجال ارتادته المرأة فى إطار قانون تطويـــر الأزهر وتخرجت أستاذات متخصصات فى العلـــوم الشـــرعية يلقين شهرة وتقديرا عربيين ودوليين سواء أكـــان ذلـــك علـــى المستوى الأكاديمى أو على المستوى الإعلامى .

وفى بلاد إسلامية أخرى وصلت المرأة لأعلى المنـــاصب بما فيها المناصب الوزارية بل ومنصب رئيس الجمهورية . وقد وضعت تانسو شيلر رئيسة وزراء تركيا السابقة وبى نظير بوتو رئيسة وزراء باكستان السابقة وميجـــاواتى ســـوكارنو رئيســـة جمهورية إندونيسيا السابقة أسماءهن فى سجل ــ الرائـــدات ــ بين نساء المسلمين فى العهد الحديث .. ومن حق كـــل منـــهن أن تسجل اسمها فى تاريخ الحركة النسائية محليا وعالميا .. فقد وصلت كل منهن إلى ما وصلت إليه من منصب عبر انتخابـــات نزيهة..أو يفترض أنها نزيهة ــ شارك فيها الملايين من الرجال

والنساء وفى الغالب فإنهن نجحن بأصوات الرجال أكـــثر ممـــا نجحن بأصوات النساء لأن عدد الناخبين الرجال أكثر فى كــــل هذه البلاد بكل تأكيد .

هذا التطور فى وضع المرأة فى البلاد الإســـلامية ســـابق لأحداث سبتمبر .. يعنى لا يمكن الادعاء بأنه ثمرة من ثمـــرات ضغوط أمريكية أو مطالب مؤسسات دولية .. وإنما هو نتيجــــة طبيعية لحركة المجتمعـــات الإســـلامية وتفاعلاتـــها .. وهـــذه التفاعلات وما نتج عنها من تطور لم يكن عائقا فى سبيلها كمـــا يزعم البعض سواء فى الغرب أو فى البلاد الإسلامية ذاتـــــها . فالواقع أن كثيرا من الحقوق التى نالتها المرأة المسلمة موجـــودة فى نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ولكن عصور الظلام التى مرت بها الأمة الإسلامية عطلت هذه الحقوق مــــن ضمن ما عطلته من حقوق الإنسان وحرياته وفى مقدمتها حرية الاعتقاد والتعبير والمشاركة العامة والحق فى نصيب عادل مــــن ثروة المجتمع ..إلى آخر الحقوق التى أهدرت على مدى قرون.

وتخطىء الحركات النسائية فى البلاد الإسلامية إذا اتخـذت من مطالبتها بحقوق المرأة وسيلة للحصول على شهادة حســـــن سير وسلوك من أى حكومة أو مؤسسة خاصة أو عامة خارجية.

وتخطىء إذا تحركت من منطلق العداء للرجل . فإن تنمية وضع المرأة وتحسين ظروفها الاقتصادية لا يمكن أن يتم بمعزل عن تنمية المجتمع كله وتحسين ظروفه .. وتنشيط مشاركتها السياسية لا يتحقق إلا بتفعيل المشاركة السياسية بصفة عامة ــ وتخطىء خطأ جسيما إذا توهمت أن حرية المرأة وحصولها على حقوقها يمكن أن يتم بمعزل عن مبادىء الدين وتعاليمه .. فهذه المبادىء والتعاليم هى العاصم للمجتمع من الانهيار .. والمجتمعات التى تنكرت للدين أو تجاهلته أو همشته وإن كانت قد حققت أعلى درجات التقدم العلمى والازدهار الاقتصادى والقوة العسكرية فإنها تعانى من انهيار الأسرة وتفشى الأمراض النفسية ومضاعفة معدلات الانتحار وشيوع الأمراض المدمرة من سرطان الى زهرى إلى إيدز بسبب الانحرافات الخلقية .. وفى هذه المجتمعات ذاتها التى تتباهى بحرية المرأة تحولت المرأة إلى سلعة جنسية مما دعا إلى ظهور حركات نسائية جديدة ذات توجهات مضادة تحاول أن تكبح جماح ما تعانيه هذه المجتمعات من تفلت وانهيار .

ثقافة الخرافة

كشفت دراسة حديثة للمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية عن معلومة غريبة تستحق الوقوف أمامها بقدر كبير من الاهتمام والتأمل وتستحق أكثر من مجرد هز الأكتاف أو مصمصة الشفاه . حسب ما هو منشور فإن الدراسة كشفت عن أن المصريين ينفقون نحو عشرة مليارات جنيه (١,٧ مليار دولار) على أمور الدجل والشعوذة وقراءة الطالع وفك السحر والعلاج من الجان .

أكدت الدراسة أن ثمة ٢٧٤ خرافة تسيطر على أفكار وسلوك المصريين سواء فى الريف أم فى الحضر . كما أكدت وجود نحو ٣٠٠ ألف شخص يزعمون قدرتهم على علاج الأمراض عن طريق تحضير الأرواح و٣٠٠ ألف آخرين يدعون علاج الأمراض والمس من الجن بالنصوص الدينية (القرآن والإنجيل) .وأن نحو مليون مصرى على الأقل يعتقدون بأنهم ممسوسون من الجن وأن نحو ٥٠ بالمائة من المصريات يعتقدون بوجود تأثير واضح للسحر على جوانب

الحياة .وفى الإجمالى تؤكد الدراسة وجود دجال لكل ٢٤٠ مواطنا مصريا تتم الاستعانة به لكشف الغيب وعلاج الأمراض سواء أكانت أمراضا نفسية أم عضوية .

***

هذه الدراسة ليست الوحيدة فى بابها كما أنها ليست الأولى من نوعها . فقد سبقتها دراسات اعتنت بالأرقام كما اعتنت أيضا بالتحليل ومعرفة الأسباب . ولعل من أبرز ما أظهرته هذه الدراسات أن الإيمان بالسحر والجان وإمكان تأثيرهما على الإنسان وكذلك الحرص على معرفة المستقبل ليسا قاصرين على الفئات الاجتماعية الدنيا اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وتعليميا . بل إن هذا الإيمان وذلك الحرص شائعان فى جميع الأوساط يتساوى فى ذلك الفقراء والأغنياء كما يتساوى فيه المهمشون والمسحوقون اجتماعيا وأصحاب المناصب والجاه والسلطان الذين يمثلون زبدة المجتمع كما يقولون . وأن مشاهير رجال الأعمال ونجوم الفكر والفن يعتقدون فى هذه الأمور ويترددون على بيوت أو صالونات كبار الدجالين . وأن بعض كبار المسئولين الرسميين يستقبلون سرا بعض هؤلاء المحتالين الذين يداعبون أحلام الرجال والنساء على حد سواء . وبعض

المحتالين قدم للمحاكمة بعد أن سطع نجمه وذاع صيته وبعض هؤلاء أثرى ثراء فاحشا والبعض انتهوا نهايات مأساوية . والبعض يمضون الآن أحكاما بالسجن بعد أن عاشوا سنوات يسيطرون على أفكار الألوف – وأحيانا الملايين من البشر – بادعاء معجزات الشفاء . وليست قصة الشيخة نادية بعيدة عن الأذهان . كما أنه ليس بعيدا عن الأذهان لجوء بعض كبار المسئولين لهؤلاء الدجالين والمشعوذين .

والإيمان بهذه الخرافات والسعى وراء أصحابها والإغداق عليهم ليس من السمات الخاصة بالمجتمعات الإسلامية وحدها وليس وثيق الصلة بالإسلام وليسا بالضرورة سمة من سمات التخلف بل هما موجودان فى المجتمعات الغربية والإيمان بالخرافات والشعوذة موجودان فى مستويات مختلفة . والعرافة والكهانة موجودان فى صور متعددة وبعض الرؤساء الغربيين يلجأون إلى عرافين خاصين لتحديد خطواتهم وقراراتهم ولعل أشهر العرافين على مستوى العالم وعلى مدى التاريخ هو العراف الفرنسى نوستراداموس الذى ظهر فى القرن الخامس عشر وألف كتابا فى النبوءات قيل إنه يغطى أحداثا على مدى زمنى يعادل تاريخ البشرية حتى يوم القيامة حتى إن البعض

حاولوا تفسير بعض فقراته على أنها تخص أحداثا وقعت فـــى منطقة الشرق الأوسط .

ما يعنينا فى هذا السرد كله فى الواقع عدة أمور :

* **الأمر الأول :** هو حجم انتشار الاعتقـــاد فـــى الدجـــل والشعوذة بهذا القدر، صحيح أنه بداخل كل إنسان ميل للإيمـــان بالخرافة كما يقول بعض الباحثين وأن هذا القدر يزيد أو ينقـص حسب ثقافة المجتمع وثقافـــة الفـــرد والظـــروف الاجتماعيـــة والسياسية والاقتصادية ولكن انتشار الاعتقاد بهذا القـــدر بيـــن الفئات المختلفة دليل على أن إعادة النظر فى ثقافـــة المجتمـــع المصرى أمر حيوى وهو أيضا دليل علـــى تفـــاقم المشـــكلات المعيشية للمجتمع المصرى واليأس من إيجاد حلول لـــها مـــن خلال العمل السياسى والاقتصادى . ومن هنـــا يلجـــأ النـــاس للخرافة ويفرون من عالم الشهادة إلى عالم الغيب بحثـــا عـــن حلول لمشكلاتهم وعلاجات لأمراضهم . وبالطبع فإن الـــهروب لا يحل المشكلات بل هو أشبه بالمخدر الذى يعطـــى إحساســا وقتيا بالراحة ثم ما يلبث الألم أن يعود مرة ثانية .

* **الأمر الثانى :** أن حجم الإنفاق الذى أوردته الدراسة قـــد يكون صحيحا وقد يكون مغاليا فيه . ومع ذلك فإنه حتى إذا كان

الإنفاق الحقيقى يقدر بنصف هذا الرقم فإنه حجم مثير للقلق لأنه يدخل فى دائرة الاقتصاد الأسود

* **الأمر الثالث** : أننا كالعادة وكما هو الحال فـــى قضايـــا كثيرة نلقى بالكرة المشتعلة فى حجر جهاز الشرطة الـــذى يتعيـــن عليه أن يتعقب المحتالين والدجالين والمشعوذين كما عليـــــه أن يطارد القتلة واللصوص والنشالين وأن يواجه الإرهاب ويقطـــع دابر تجار المخدرات ثـــم يقتحـــم أوكـــار هـــؤلاء الدجـــالين والمشعوذين .

* **الأمر الرابع** : أنه كما أن أسباب تفشى هـــذه الظـــاهرة الخطرة أسبابا عامة ومشتركة فإن علاجها هو مسئولية المجتمع كله والعلاج يجب أن يكون اقتصاديا وسياسيا وثقافيا وإعلاميا .

أما المعالجة الفكرية بعيدة المدى فهى مســـئولية التربيـــة والتعليم . ولتكن مرتكزات هذه الحملة دينيـــة فـــى الأســـاس . فالدين ضد الخرافة . والتوحيد ضد الاعتمـــاد علـــى الدجـــالين والمشعوذين .

* **الأمر الخامس والأخير**: هو أننا نسمع ونقرأ كثيرا عـــن دراسات وأبحاث غاية فى الأهمية تنبه إلى عيوب ومشــــكلات غاية فى الخطر ســـواء أجراهـــا المركـــز القومـــى للبحـــوث

الاجتماعية والجنائية أم أجراهـا الجـهاز المركـزى للتعبئـة والإحصاء أم غير هذا وذلك من المراكز الحكومية التى تنفـق عليها الدولة عشرات الملايين من الجنيـهات . وثمـة أيضـا مجالس تضم نخبا من العلماء والباحثين مثل المجالس القوميـة المتخصصة . ودراسات وبحوث هذه المراكز والمجالس تـدرس قضايا المجتمع من كافة النواحى وتضع مقترحات محددة لحـل المشكلات وتطوير الأداء وتلافى السلبيات مما يسـاعد علـى تحقيق النهضة المنشودة لهذا الوطن . والسؤال البسيط هو : هل يستفاد بها أم توضع فى الأدراج أو على الأرفـف أو دسـكات الحاسبات الآلية ؟ وفى النهاية : هل هناك من يقرأ ومن يسـمع أصوات هؤلاء الخبراء .

***

الشباب .. وهبوط لغة الخطاب

هل من حقنا أن نلوم شبابنا لهبوط مستوى التخاطب فيما بينهم سواء فى البيت أم فى المدرسة أم فى الشارع والنادى وكل أماكن التجمع التى يلتقون فيها ؟؟ وهل من حقنا أن نندهش بل ونثور عندما نقرأ أو نسمع عن انحرافات وجرائم يرتكبها الشباب ؟ الإجابة هى بكل صراحة لا .

وهذه الصراحة قد تصدم البعض . ومع ذلك فهى مطلوبة بشدة إذا كنا جادين فى معالجة هذه الظواهر وبناء شباب جديد جاد يتميز بالانتماء الوطنى وبالوعى الدينى وبالطموح المشروع وبالجدية التى نحتاجها ونحن نواجه معركة مصير يستخدم فيها العدو كل الوسائل والأساليب غير المشروعة لزيادة قوته العسكرية والاقتصادية والسياسية لإضعافنا فى السياسة والاقتصاد والقدرة العسكرية ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وفى إطار هذه الصراحة المطلوبة بشدة نقول إننا المسئولون عما وصل إليه شبابنا من انحرافات سلوكية ومن تدن فى مستوى الخطب وهو تدن جارح ومسئ للمشاعر ومعبر فى

الوقت ذاته عما أصيب به شبابنا من تشوهات . ويطول الحديث وتتعدد شئونه وشجونه إذا أردنا أن نتحدث عن خلـــو منــاهج التعليم من الرؤية التى ترسى قيم الأخلاق الفاضلــة والانتمــاء الوطنى رغم كل الجهود التى بذلت فى هــذا الاتجــاه خــلال السنوات الماضية ، وخلو العلاقــة بيــن المعلميــن والطلبــة والطالبات من عنصر القدوة السلوكية التى تجمع حولها الشـباب وتؤثر فى أفكارهم أو فى سلوكهم فــى مراحــل التعليــم قبــل الجامعى أو فى مرحلة الجامعة .

ولا يخلو الأمر بالطبع من وجود عناصر ممتازة ومتمــيزة من المعلمين والمعلمات والأساتذة الجامعيين الذين يصلحون لأن يكونوا نماذج فكرية وسلوكية يستهدى بها الدارســون . لكننــا لا نتحدث عن أفراد ولو كانوا بالمئات أو الألوف وإنما نتحــدث عن ظواهر عامة .

ويطول الحديث أيضا إذا تعرضنا لفقدان الشباب لعنصــــر القدوة على المستوى العام .. فرغم ما تقدمه الدولة مــن دعــم للنشاط العلمــى ومــا تنشــئه مــن جوائــز لتقديــر العلمــاء والمتخصصين فى فروع المعرفة وكذلك فى مجال الثقافة فــإن الذين يشكلون زبدة المجتمع والذين يحظون بالمـــال والشــهرة

والنفوذ على مستويات متعددة هم ثلاث فئات : رجال الأعمال ، والفنانون بمختلف تخصصاتهم ومستوياتهم ، والرياضيون بصفة عامة ولاعبو كرة القدم بصفة خاصة . وإذا كان الغالب على هذه الفئات بصفة عامة الالتزام فإن ثمة عناصر تقدم نماذج غير صالحة .. وللأسف فإن بعض هذه النماذج ذات بريق وتأثير سئ فى الشباب . وبالطبع فإن أجهزة الإعلام تلعب دورا كبيرا فى إبراز هذه النماذج . ويحدث أحيانا دون وعى أن يكون هذا الإبراز سلبيا .

ومع شباب لم يتم تحصينهم أخلاقيا وفكريا بدرجة كافية فإنهم يتأثرون بهذه النماذج السلبية ويتخذون منها قدوة لهم يقلدونها فى حياتهم وفى سلوكهم . ونظرة على ما تقدمه السينما عندنا سوف تقدم لنا عذرا مقبولا لأى انحرافات سلوكية أو هبوط فى مستوى الخطاب بين الشباب .. فوسط سيل من الأفلام التافهة أو الساذجة تبدو الأفلام الجادة والمعبرة عن طموحات الشباب والمتحدثة عن مشكلاتهم الحقيقية نادرة . وبنظرة إلى التعبيرات المتداولة بين الشباب الآن سوف نجد أن كثيرا منها مأخوذ من حوارات الأفلام والأغانى التى انحط بعضها من الحديث عن معانى الحب السامى والمعانى الوطنية

الجميلة والدافعة للعمل الجاد إلى الحديث عن القفا والكلب لولـــو والقط مشمش والفراخ وبيتك بيتك ودهان الهواء دوكو . وهـــذا بالطبع امتداد لظاهرة السح الدح وكركشنجى ، والواد الأستوك ، وغيرها من الأغانى التى تصك أسماعنا وتصدم مشاعرنا . وإذا كان الكبار يتأذون من سماع ــ ناهيك عن ترديد ــ هذه الأغانى والعبارات الهابطة فإن الشباب والأطفال يحفظونها عن ظـــــهر قلب ويرددونها فيما بينهم .

من هنا فإن مسئولية الفن والفنانين جسيمة والأعمال الفنيــــة سواء أكانت أغان أم أفلاما أم مسرحيات أم مسلسلات درامية أم حتى إعلانات تبدأ بفكرة أو رؤية تتحول إلى نـــــص .ويتحــول النص من خلال الإخراج والتمثيل والتصوير إلى عمل متكامل . ويتحول النص الغنائى إلى أغنية . ويقف وراء هؤلاء جميعــــا المنتجون الذين يبحث بعضهم عن النجاح المادى والربـــح دون النظر كانت هذه الأعمال ترسى قيمة إيجابية أو هـــى للتســلية فقط . ولهذا كثرت الأعمال الفنية التجاريـــة وقلــت الأعمــال الهادفة .. ويستثنى من ذلك بالطبع التليفزيون الذى يتقيــد فـــى إنتاج الأعمال الدرامية والأغانى بضوابط صارمـــة باعتبـــاره جهاز الدولـــة وأداتـــها الإعلاميـــة الأساســية . وباعتبـــار أن

التليفزيون دخل الآن كل بيت فهو إعلام ليس انتقائيا كما هو الحال فى السينما والمسرح . وهو منوط به العمل على إرساء القيم والمفاهيم وأشكال الخطاب الإيجابية .. ولكن المشاهد المنتقاة التى تشتمل عليها إعلانات الأفلام والمسرحيات تحتوى على خلاصة عناصر الإبهار والإضحاك ومن ثم التأثير فى الشباب .

على جانب آخر فإن تدنى مستوى الخطاب بين الشباب يرجع فى جانب أساسى منه إلى عاملين لا يقلان أهمية ــ بل قد يزيدان ــ عما سبق ذكره .

وهذان العاملان هما البطالة والفراغ الفكرى والسياسى .. ويطول الحديث فى كل من هذين العاملين . ولكننا نركز هنا على أن معالجة كل منهما بقدر ما هى حيوية ليس للشباب فقط ولكن للمجتمع كله فإنها ليست مسئولية الشباب الذى هو ضحية بل هى مسئولية المجتمع كله . هى مسئولية الدولة التى ترعى تعليم وتدريب وتشغيل الشباب . وكذلك مسئولية رجال الأعمال والمستثمرين ومسئولى الأحزاب .. وعلى مقدار النجاح فى تحقيق دور كل جهة يتوقف ارتقاء أو هبوط مستوى سلوك شبابنا ومستوى خطابهم على حد سواء . وعلينا أن نبدأ اليوم قبل الغد لإنقاذ شبابنا فى الحاضر والمستقبل .

الإعلام الإسلامى وتحديات خطيرة ــ ١

كثر الحديث فى الفترة الأخيرة عن الحاجة إلى خطة إعلامية متكاملة لمواجهة المخطط الإعلامى المعادى الذى تطلقه وتغذيه الصهيونية العالمية وتشارك فى تنفيذه بوعى أو بلا وعى أجهزة الإعلام الغربية ويصل تأثيره فى المجتمعات الغربية إلى الحد الذى يجعل الرأى العام فى هذه المجتمعات موافقًا وأحيانًا متحمسًا لأى خطوات عدائية ضد البلاد العربية والإسلامية . وأظهر مثالين على ذلك نجاح الحملات الإعلامية فى قلب الحقائق وتزييف الواقع فى الصراع العربى الإسرائيلى وتصوير المقاومة المشروعة من جانب الشعب الفلسطينى على أنها إرهاب ، وتصنيف منظمات المقاومة كمنظمات إرهابية ، والمطالبة بتغيير السلطة الفلسطينية والامتناع عن التعامل مع الرئيس الراحل ياسر عرفات وإعلان عدم التعامل معه مستقبلاً حتى لو أعيد انتخابه من قبل الشعب الفلسطينى . هذا مثال .. والمثال الثانى هو إعداد الرأى العام الأمريكى والغربى لتقبل

وتأييد الضربة التى أعدتها الإدارة الأمريكية للعـــراق بـــهدف التخلص من نظام حكم صدام حسين .

وفى مقدمة ما توصل إليه وزراء الإعلام العرب فى هـــذا الشأن اقتراح إنشاء قناة فضائية موجهة للغرب . وإنشاء مرصد عربى لرصد كل ما يبث وينشر من مواد إعلامية معادية للعرب والمسلمين وتفنيدها والرد عليها . وقد سبق أن أبدينا رأينا فيمـــا يخص القناة الفضائية العربية وتمنينا ألا يكون مصيرها هو نفس مصير القناة الفضائية الإسلامية " إسلام فيزيون " .

والحديث يطول عن الحملات الإعلامية ومبادئها وأسســـها وعناصرها . ولابد أن لدى جامعة الـــدول العربيـــة ووزارات الإعلام فى البلاد العربية وخاصة مصر من الأساتذة والخـــبراء من هم قادرون على وضع الأطر والمبادئ والأســس اللازمـــة لنجاح أى خطة قادمة للإعلام العربى تمكن من مواجهة الخطـــر الإعلامى الذى يعد ويمهد لأى حملة جديدة على العرب ويواكب هذه الحملة ويغطى على آثارها .

وهذا لا يمنع من الإدلاء بالرأى فى هذه القضية التى يجب أن تشغل بال الإعلاميين العرب كل فـــى موقعـــه . لأن كـــل إعلامى له دور فى تحقيق أهداف هذه الخطة العربية المســتهدفة

حتى ولو لم يكن مشاركًا فيها بشكل رسمى أو جزءاً من جهازها الإدارى والمهنى . فنجاح الحملة الإعلامية يقتضى عمومًا توافر العناصر التالية :

" تحديد الهدف أو المشـــكلة بـــأقصى قـــدر مـــن الدقـــة والوضوح . ونحن فى هذه الحالة لسنا أمام مشـــــكلة واحـــدة وإنما أمام عدة مشكلات ومن ثم فلدينا عـــــدة أهـــداف يجـــب تحديدها والتمييز بينها بكل الوضوح والدقة .

** وضع خطة متكاملة تحدد المـــــهام والأدوار والأدوات والوسائل بدقة وتضع كافة الاحتمالات وتكون قابلة للتعديل فى ضوء المتغيرات .

** توفير كافة المعلومات الصحيحة المتعلقـــة بالقضيـــة أو المشكلة موضوع الحملة .

** حسن اختيار الأساليب والأدوات والمواد المســـتخدمة بحيث تكون مناسبة لقطاعات الجماهير المختلفة .

** التدرج فى تقديم الحملة وتحديد الجرعات المناســـية المطلوب توصيلها من الرســـالة الإعلاميـــة حســـب اختـــلاف

الوسائل وأهمية القضيـــة وأنـــواع الجمـــاهير ومســـتوياتها ومواقفها السياسية وثقافتها المجتمعية .

** الانسجام بين كل عنـــاصر الحملـــة وبيـــن وســـائل تنفيذها .

** استمرار الحملة بالكثافة المطلوبة حسب كل مرحلـــة من مراحل تنفيذها . واستغلال كافـــة المناسـبات والأحـداث وتوظيفها بما يخدم فى تحقيق أهداف الحملة .

** تنويع الأساليب ومستويات الخطاب المستخدمة فـــى صياغة عناصر الحملة وتوصيل الرسائل الإعلامية .

** توفير التمويل الكافى واللازم للإنفاق علـــى الحملـــة فى جميع المراحل .

** التفرقة بوضوح بين الحملات الإعلامية التـــى تقـــوم على الحقائق الموضوعية والمعلومات والأرقام وتخاطب العقـل وبين الحملات الدعائية التى تخلط الحقائق بالأكاذيب وتســـتغل النوازع الإنسانية وتخاطب العواطف فى المقام الأول وتحـــاول أن تلغى دور العقل وتعتمد سياسة التهييج العاطفى .

وفى حالة الحملة أو الحملات الإعلامية العربية فإن هذه العوامل مطلوبة ولكن مطلوب فى الوقت ذاته ثلاثة عناصر لا تقل أهمية وهى :

** إيمان كل العاملين فى الأجهزة المستخدمة فى الحملة بالقضية أو القضايا التى يتعاملون معها .

** أن يتجرد هؤلاء العاملون قدر الإمكان من الانتماءات المحلية والمذهبية وأن يبتعدوا عن الخلافات والقضايا الخلافية التى تستنزف الوقت والطاقة وتبعد عن الهدف .

** أن تتحرر الأجهزة المقترحة من البيروقراطية التى يمكن أن تبدد الجهد والوقت والمال هباء .

الإعلام الإسلامى وتحديات خطيرة ـ ٢

فى أحد البرامج التليفزيونية السياسية والاقتصادية وردت معلومة لا يمكن أن يغفلها الإنسان ويمر عليها مرور الكرام .. فقد وردت على لسان رجل مسئول هو عبد الرؤوف الريدى سفير مصر السابق فى واشنطن وفى سياق الحديث عن الجهود التى تبذل والتى يجب أن تبذل لكسب الشعب الأمريكى والرأى العام الغربى ومن ثم التأثير على مراكز صنع القرار فى الدول الغربية مما يؤدى أو يفترض أن يؤدى إلى تعديل مواقف واتجاهات وقرارات حكومات هذه الدول تجاه الحكومات العربية وقضية السلام فى الشرق الأوسط .

تقول المعلومة إن العرب فشلوا فى جمع مبلغ عشرين مليون دولار لتمويل حملة إعلام وعلاقات عامة فى الغرب بينما أنفقت إسرائيل والمنظمات والمؤسسات الداعمة لها ما يجاوز ثمانمائة مليون دولار لتمويل حملة الإعلام والعلاقات العامة التى نفذتها خلال الفترة الماضية والتى نجحت من خلالها فى تسويق عدوانها البشع على الشعب الفلسطينى ، وتقديم هذا

العدوان على أنه دفاع عن النفس بينما تـــم تصويـــر عمليـــات المقاومة المشروعة التى يقوم بها أفراد الشعب الفلسطينى علـــى أنها إرهاب .. ووصل التأثير الناجح لهذه الحملة إلى حد محاولـــة الحصول من الرموز الدينية فى مصر والسعودية بصفة خاصـــة على إدانة للعمليات الاستشهادية لكن الرموز الدينية لم تســـتجب لمطلبهم ، وكذلك حد وصف أرييـــل شـــارون رئيـــس وزراء إسرائيل بأنه رجل سلام بينما قيل إن الرئيس الفلسطينى ياســـر عرفات لم يقم بما يجب عليه لمكافحة الإرهاب .

هذه المعلومة لابد أن تدفع دماء الخجل إلـــى وجوهنـــا ــ فما أكثر المليارات العربية التى تدفع فى صفقات أسلحة تـــترك حتى يعلوها الصدأ ثم تنفق مليارات أخرى ــ بالعشرات لتحديث هذه الأسلحة وعشرات المليارات الأخرى لشراء صفقات جديـدة من أسلحة لا تستخدم سواء بســـبب القيـــود المفروضـــة علـــى استخدامها أو بسبب العجز عمليا عن استخدامها .. ومـــا أكـــثر مليارات الدولارات التى تنفق من أجل استهلاك ترفى ومظهرى يصب فى صالح الشركات الصناعية الغربية التـــى تخصـــص أجزاء من ميزانياتها لتمويل إسرائيل بشـــكل مباشـــر أو غـــير مباشر .. وما أكثر المليارات التى تنفق على قنـــوات فضائيـــة

يفترض أنها لا تعبر فقط عن واقع المجتمعات العربية المسلمة بل واجبها أن تأخذ بيد هذه المجتمعات على طريق النهضة والوحدة .. ولا نعنى وحدة القرار لأنها فى حكم المستحيل بل نعنى كحد أدنى وحدة المشاعر ووحدة الأمل فى المستقبل والعمل الشعبى لتحقيق هذا الأمل .. ولكن هذه الفضائيات تحولت إلى تكرار ممسوخ وتقليد أعمى لما تقدمه الفضائيات الغربية شكلاً ومضموناً .. بل تحولت بعضها إلى منابر يتم من خلالها بث الفرقة وتغذية روح المحلية الضيقة مما أثار الغضب والنفور لدى الشعوب والمثقفين والحكام على حد سواء ..

لقد أكدت تداعيات أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وجود حالة من الكراهية فى كثير من الأوساط السياسية والفكرية والثقافية فى الغرب تجاه الإسلام والعرب والمسلمين بسبب حساسيات قديمة وتراكمات من سوء الفهم .. وأكدت أن ثمة محاولات مستمرة من الصهيونية العالمية لإذكاء هذه الكراهية وإشعال الفتنة بين المسلمين والشعوب الغربية المسيحية .. لكن هذه التداعيات أكدت فى ذات الوقت أن ثمة فرصة تاريخية وضرورة تاريخية أيضا لأن يعيد العرب والمسلمون تقديم أنفسهم وتقديم دينهم للغرب ولبقية العالم من خلال خطاب

عصرى متفتح قائم على العقل مستند إلى الحقائق والأرقام متسم بروح التسامح والاعتدال التى هى أساس فى الدعوة إلى الله إنطلاقاً من قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ..**﴾ (١) وقوله عز وجل : ﴿**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن..**﴾ (٢).

ويتعين علينا ألا ننطلق فى محاولة مخاطبة العقل الغربى من فرضيات خاطئة مثل فرضية أن الغرب واحد والعقل الغربى واحد .. فهذه فرضية غير صحيحة .. فثمة طيف واسع داخل كل بلد غربى وتنوع كبير بين البلاد والشعوب الغربية .. مثل فرضية أن الجميع يكرهون الإسلام والعرب والمسلمين فهذه أيضًا فرضية خاطئة فإن تاريخ هذه الشعوب وثقافاتها مختلفة ومن ثم فليس الجميع فى حالة كراهية .. وليست الكراهية الموجودة بنفس الدرجة ولنفس الأسباب فى البلاد المختلفة .. ومثل فرضية استحالة التغيير.. ولنأخذ مثلا من أعدائنا .. لقد كانت صورة اليهودى فى الآداب الأوروبية هى صورة المرابى والمتآمر والمخادع والخائن ..ولكن هذه الصورة

---

(١) النحل : ١٢٥.

(٢) العنكبوت : ٤٦.

تغيرت بالإلحاح الإعلامى إلى جانب امتلاك اليهود لوسائل التأثير الأخرى فى المجتمعات، من سياسية واقتصادية وفكرية .

إن كسب الشارع الأمريكى ليس ترفًا ولكنه ضرورة .. والعمل على تحقيق هذا الهدف ليس مسئولية الحكام وحدهم ولكنه مسئولية كل منظمات ومؤسسات الم[illegible] العربية والإسلامية من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وخيرية .. وهذا التأثير المطلوب لن يتم عبر البوابات الرسمية .. فالإدارة الأمريكية لا تملك إصدار قرار بتغيير توجهات الشارع الأمريكى ، بل الشارع الأمريكى هو الذى يفرض على الإدارة ما تتبعه من سياسات وما تصدره من قرارات .. ومعركتنا مع إسرائيل ليست على أرض فلسطين فقط ولكنها فى الشارع الأمريكى خاصة والغربى عامة وفى مراكز صنع القرار فى هذه البلاد .. وإسرائيل قبل أن تكسب معاركها على أرض فلسطين فإنها تكسبها فى مبانى الكابيتول والبنتاجون والبيت الأبيض وعلينا أن ننفق بلا تقتير وعلينا أن نحاول وألا نيأس .. فلا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة .

الإعلام الإسلامى وتحديات خطيرة ـ ٣

تعرضنا من قبل وفى إشارات سريعة إلى قضية التمويل باعتبارها قضية حيوية يتوقف عليها نجاح العمل الإعلامى .. فبالمال نستطيع امتلاك وسائل الإعلام المحلية وتزويدها بالتكنولوجيا المتقدمة والأفراد الأكفاء اللازمين من مختلف التخصصات .. وبالمال نستطيع أن ننشىء جسوراً إعلامية مع الآخر سواء بامتلاك الوسائل الإعلامية فى الخارج أو بشراء المساحات الإعلانية فى الصحف والمجلات أو الأوقات فى الإذاعات والقنوات التليفزيونية أو عقد المؤتمرات والندوات أو استضافة الإعلاميين وإتاحة الفرصة لهم للتعرف على الصورة الحقيقية للإسلام والمسلمين وسعى الشعوب الإسلامية للارتقاء بأحوالها وإقامة علاقات من التعاون المثمر مع غيرها من الشعوب .

ومعاناة الإعلام الإسلامى من نقص الإمكانات المادية لا ترجع فقط إلى فقر البلاد الإسلامية وخاصة عندما يتعلق الأمر بالدفاع عن الإسلام فى مواجهة حملات الكراهية التى

تستهدفه خصوصًا فى الغرب .. وإنما هو يرجع فى المقام الأول لغياب الإدارة السياسية الواحدة .. وليس أدل على ذلك مـــن أن وزراء الدول الإسلامية اتفقوا منذ أوائل التسعينيات من القـــرن الماضى على إنشاء قناة فضائية إسلامية باسم : " إسلام فيزوين Islam Vision " .. وحتى الآن لم يظـــهر لـــهذه القنـــاة الإسلامية أى أثر فى الوقت الذى شهدت فيه الســـنوات العشـــر الأخ يرة انطلاق عشرات القنوات الأرضية والفضائية الحكومية والخاصة .. ولم تصب هذه القنوات فى تيار الدفاع عن الإسلام وتنقية صورته من التشوهات التى أصابتـــها بســـبب حمـــلات الكراهية الموجهة ضده وبســـبب أخطـــاء بعـــض الحكومـــات الإسلامية وسوء تصرف بعض الأفراد والجماعـــات المنتســـبة للإسلام .

وفى محاولة للدفاع عن العرب والمسلمين بعد أحـــداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ دعا عمرو موسى أمين عام جامعة الدول العربية عددا من المفكرين والمثقفين العرب وشكل منهم فريـــق عمـــل للحوار والدفاع عن قضايا العرب والمسلمين .. وتقرر اختيـــار الدكتورة / حنان عشرواى ــ الوزيرة الفلســـطينية الســـابقة ــ متحدثة رسمية باسم الجامعة العربية ولكن العمل لم يحقق تقدمًـــا

يذكر . فلم نسمع عن حملة منظمة تدافع عن هذه القضايا .. ولم نشهد أى تغير بأى درجة فى المواقف الأمريكية والبريطانية المؤيدة تأييدًا مطلقًا للسياسات الإرهابية التى تتبعها إسرائيل ضد الشعب الفلسطينى .. ولم نر انخفاضًا فى حدة مواقف العنف والغضب والكراهية فى الغرب ضد العرب والمسلمين والإسلام .

وآخر ما قرأناه فى محاولة الدفاع عن القضايا العربية والإسلامية أن اللجنة الدائمة للإعلام العربى بجامعة الدول العربية تدرس إنشاء قناة فضائية تهدف لجمع الشمل العربى وتوحيد المواقف من خلال البرامج السياسية والاقتصادية التى تقوم بتقديمها . وأن هذا المشروع قد جاء بعد أن تبين للجنة الإعلام بجامعة الدول العربية تباين المواقف العربية من خلال شاشات القنوات الفضائية العربية .. وأن بعض البرامج التى تقدمها هذه القنوات تؤدى إلى تفكك الشمل العربى وزيادة الاختلاف بين الدول العربية .

وتقول الصحيفة التى نشرت الخبر إنه بعد أن تتم دراسة المشروع دراسة نهائية سيتم وضع التصور الكامل له من حيث الميزانيات المطلوبة لإنشاء القناة الفضائية العربية ، وأيضا

أسلوب إدارتها والبرامج التى سيتم تقديمها وإن كان الرأى يتجه إلى أن تقوم القناة بتقديم برامج سياسية واقتصادية يشترك فيها أبناء جميع الدول العربية .

وعن الخطوات التنفيذية يقول الخبر : إن الدراسة التى ستجريها اللجنة سوف تقدم إلى عمرو موسى أمين عام جامعة الدول العربية لكى يتم عرض المشروع على وزراء الإعلام العرب فى اجتماعهم القادم لإقراره .. وفى حالة موافقة الوزراء على المشروع سيبدأ إعداد الميزانية اللازمة للقناة وإعداد البرامج حتى يتم البدء فى البث التجريبى للقناة .

وليس لنا من تعليق على هذا المشروع سوى أن نتمنى أولاً أن تجتمع الإرادة السياسية للدول العربية لكى تقوم القناة أولاً . ثم نتمنى أن تستمر هذه الإرادة السياسية وأن تعبر عن نفسها فى توفير التمويل اللازم . وإذا جاز لنا أن نقترح أمرًا فى هذا الشأن فهو أن ينشأ صندوق خاص لهذه القناة يكون مستقلاً عن الجهاز الإدارى البيروقراطى للجامعة أو أن تعهد الجامعة لشركة خاصة بإنشاء وإدارة هذه القناة على أن تتولى الجامعة وضع سياستها وتمويلها .. المهم هو ألا يكون مصير Arab Vision هو نفس مصير Islam Vision .

الإعلام .. والتأسيس لفكر

وحدوى إسلامى ـــ ١

الولايات المتحدة الأمريكية هى الدولة الأعظم فى العالم .. وهى تملك أقوى اقتصاد ، وأقوى جيش فى العالم ، وأقوى جهاز سياسى ، وأفضل جهاز مخابرات وأكبر مؤسسات علمية وبحثية فى كافة المجالات من الطب إلى الجيولوجيا إلى الفضاء إلى الدراسات الإنسانية والاقتصادية وغير هذا وذاك فى مجالات القوة المادية . والإدارة الأمريكية تسعى من وراء امتلاك هذه القدرات المادية إلى الهيمنة على العالم سلما أو حربا .. ولكن الإدارة الأمريكية فى الوقت ذاته تعلم قيمة الإعلام لتأثيره البالغ فى الرأى العام خاصة مع التطور الهائل فى تقنيات الاتصال ــ خلال ربع القرن الأخير ــ التى كان للأمريكيين فضل السبق والتفوق فيها .

من هنا فالولايات المتحدة إضافة إلى قدراتها الهائلة السابق ذكرها تملك أقوى جهاز إعلامى فى العالم . وعلى الرغم مما يتمتع به هذا الجهاز الهائل من حرية ظاهرية ، فإنه موظف فى خدمة أهداف السياسة الأمريكية بشكل مباشر وغير مباشر والأقمار الصناعية العديدة التى أطلقتها الولايات المتحدة فى الفضاء بقدر ما تنقل إلى الأجهزة البحثية والعلمية والمخابراتية الأمريكية من معلومات عما يجرى فى كل مكان فى العالم تقوم ببث كل ما تريد الإدارة الأمريكية بثه من أفكار ومعلومات صحيحة أو مضللة .

ولأن الإدارة الأمريكية تدرك قيمة الإعلام وتأثيره فإن الحملة الإعلامية الأمريكية على الدول العربية والإسلامية لا تقل ضراوة عن الحملة السياسية أو العسكرية ، بل هى تواكبها وتخدمها وأحيانا تغنى عنها .. وفى أعقاب أحداث ١١سبتمبر والحملة على أفغانستان ثم العدوان على العراق واحتلاله ، وبينما عجز العرب والمسلمون عن تمويل حملة إعلامية لمواجهة حملات تشويه الإسلام والمسلمين والعرب أو إطلاق قناة فضائية عربية أو إسلامية أطلقت الإدارة الأمريكية شبكة إذاعية هى إذاعة (سوا) وعدة مطبوعات باللغة

العربية منها ما هو معلن عن انتمائه صراحة مثل مجلة (Hi) الموجهة للشباب العربي ومنها ما يجرى تمويله فى الخفاء فضلا عن محاولات استقطاب السياسيين والإعلاميين وأطلقت قناة فضائية باللغة العربية هى قناة (الحرة) والهدف من ذلك كله بث الآراء والأفكار والأخبار والمعلومات التى تحسن صورة الولايات المتحدة فى البلاد العربية والإسلامية وتبرر سياساتها وتهيئ الأذهان والنفوس لما تريد فرضه من تغييرات فى هذه البلاد .

من هنا وجب أن ينتبه العرب والمسلمون لأهمية الإعلام ليس فقط فى مواجهة الحملات الظالمة الموجهة لهم أو ضدهم ولكن فى الأساس لإصلاح الداخل فى البلاد العربية والإسلامية ، وإزالة الجهل وسوء الفهم المؤديين إلى الصراع المذهبى والتعصب العرقى والنزاع السياسى مما هو غير مطلوب أو مبرر فى أمة يجمعها الدين والتاريخ والمصالح المشتركة والخطر الداهم .

وفى مؤتمر "التقريب بين المذاهب الإسلامية ووحدة الأمة" الذى عقد فى البحرين . كان الإعلام حاضرا فى الذهن وفى كادر الاهتمام ، وأشار أكثر من بحث وورقة عمل إلى أهمية

دور ومسئولية الإعلام فى إشاعة فكر التسامح وروح التقريب وثقافة الأخوة الإسلامية بحيث تصير سلوكا يوميا فى البيت والشارع .. ومن ثم تضمنت التوصيات الصادرة عن المؤتمر ثلاث توصيات : **إحداها** تضع المؤسسات الإعلامية مع المؤسسات التربوية والتعليمية المسئولة عن إعداد الأجيال الجديدة فى إشاعة هذه الروح . **والثانية** تتعلق بتفعيل الدعوة إلى الوحدة تربويا وإعلاميا وسياسيا واقتصاديا عن طريق تحقيق البلورة الفكرية لثقافة التقريب .. إلخ .. أما **التوصية الثالثة** فهى خاصة بأجهزة الإعلام ، حيث طالب أعضاء المؤتمر المؤسسات والقنوات الإعلامية فى بلاد المسلمين بالقيام بدور أكثر إيجابية فى خدمة قضايا الأمة والحفاظ على هويتها والطرح الصادق للمعالجة الإسلامية للشئون الحياتية والبعد عن التشويه والتبعية والتحلى بالجدية والواقعية والمصداقية فى نشر ثقافة التقريب . مع المطالبة فى الوقت ذاته بتوفير الظروف الموضوعية التى تمكن الإعلام من أداء دوره بكفاءة وفاعلية .

وكنت قد تقدمت للمؤتمر بورقة عمل بعنوان " الإعلام والتأسيس لفكر وحدوى إسلامى " ولعل من المفيد ونحن نناقش هذه القضية سواء على المستوى العلمى الخاص أو الجماهيرى

أن نكون معا ــ إعلاميين وجماهير ــ على دراية بأهمية هـــذا الدور سواء فى مجال التأسيس لفكر التقريب والوحـــدة للأمـــة الإسلامية ، أم فى مجال الحوار مع الأمم الأخــــرى والسـعى لتصحيح صورة الإسلام والرد على الحمــلات الظالمــة التــى تسعى للنيل من الإسلام والمسلمين .

وتنطلق جهود التوحيد من حقيقة أن الأمة الإسلامية كـــانت قوية حين كانت متحدة . وكانت قويـــة حيـــن كـــانت ملتزمـــة بالمبادئ والمثل والقيم التى جاء بها الإسلام مما قاد هذه الأمـــة لتحقيق انتصار تاريخى على الامبراطوريتين القـــائمتين وقـــت ظهور الإسلام وهما الامبراطوريـــة الرومانيـــة فـــى الغـــرب والامبراطورية الفارسية فى الشرق وحررت العرب من بطـــش واستبداد هاتين القوتين . وانطلق العرب من داخــــل الجزيـــرة المعزولة ليبنوا أمة ويقيموا دولة تمتد تخومها آلاف الأميال فـــى كل مكان . ولم يكن ذلك لأنهم الأكثر عـــددا أو الأقـــوى عـــدة وعتادا . ولكن لأن المسلمين عربا أو غير عرب كانوا أصحاب رسالة . ومن خلال نشر الرسالة والعمل بأحكامـــــها ومبادئـــها أنشأوا حضارة قوية مزدهرة ؛ فلأن الإسلام هو الدين الخـــــاتم ورسالته هى خاتمة رسالات السماء للأرض كـــان طبيعيـــا أن

يكون خطابه عاما شاملا عالميا مستجيبا لكل أحــداث الزمــان وتغيرات المكان .

ولذلك فإن الحضارة التى بناها لم تكن حضارة عربية بـــل كانت حضارة إسلامية شاملة شارك فى صنعها مزيج رائع مـــن كل الأعراق والألوان واللغات واللهجات . وعندما نســـتعرض أسماء بعض من شاركوا فى صنع التراث الفكرى والحضـــارى لهذه الأمة سوف نجد عجبا . سوف نجد البخارى والنيســابورى والمـــروزى والنســـائى والســـيوطى والقرطبـــى والطـــبرى والخراسانى وابن قيم الجوزية والمراكشى والجزائرى والبغدادى والكوفى والمكى والمدنى والغزالى . وكل هؤلاء منسوبون إلـــى مدن وبلاد بينها آلاف الأميال .

ولم يقف العطاء الحضارى لهذه الأمة عند حـــدود العلـــوم الشرعية أو اللغوية بل امتد ليشمل كافة العلوم مـــن الجغرافيـــا إلى التاريخ إلى الاجتماع إلـــى الفلســـفة إلـــى علـــوم الأرض والكيمياء والفيزياء والفلك والفلاحة والملاحة وغيرها ، وقـــدم العلماء والباحثون المسلمون فى هذه المجالات كلها إبداعات كان لها دورها الأساسى فى صنع الحضارة الغربية باعتراف كثـــير من علماء وسياسيى الغرب .

وكما حدث لامبراطوريات ودول كبرى سابقة على مـــدى التاريخ بدأت عوامل الضعف السياســـى والتفكـك الاجتمــاعى والتخلف العلمى تأخذ بخناق الأمة الإسلامية فى الوقـــت الـــذى بدأت فيه الدول الغربية تأخذ بأسباب النهضة العلمية والتحـــرر السياسى والاجتماعى والاقتصادى . وانطلقـــت مـــن إطارهـــا الجغرافى الضيق فى أوروبا لتغزو العالم على اتساعه . وكـــانت الدولة الإسلامية المترامية الأطراف ميدانـــا لغـــزوات الـــدول الغربية التى عملت على فـــرض لغاتـــها وثقافاتـــها وعاداتـــها وتقاليدها التى يتعارض كثير منها مع قيم الإسلام .

وبانتهاء الخلافة الإسلامية فى بدايات القرن الماضى انتـــهى كل أثر لوحدة الأمة الإسلامية التـــى صـــارت دولا ودويـــلات خاضعة للاحتلال العسكرى أو الهيمنة السياسية أو الاســـتغلال الاقتصادى أو لذلك كله مقرونـــا بمحاولـــة محـــو الشـــخصية الإسلامية .

وكانت الأمة الإسلامية بكل تنوعاتها وقودا للحـــرب بيـــن القوتين العظميين والكتلتين المتنافستين والمتنـــاحرتين : الكتلـــة الغربية الرأسمالية بزعامة الولايات المتحدة ، والكتلة الشـــرقية الشيوعية بزعامة الاتحاد السوفييتى . وظل هذا التنـــافس بـــل

الصراع على أشده منذ أربعينيات القرن الماضى حتى بداية التسعينيات حين تحققت الغلبة للكتلة الغربية بانهيار الاتحاد السوفييتى وتفكك الكتلة الشرقية وبروز فشل النظام الشيوعى فى السياسة والاقتصاد والمجتمع . وهنا برز الإسلام ـ أو بالأصح أرادوا إبرازه ـ باعتباره الخطر الأخضر والعدو البديل بعد زوال الخطر الأحمر والعدو الأول المتمثل فى النظام الشيوعى . من هنا كانت محاولات الاحتواء والهيمنة الموجهة للدول الإسلامية .

وقد حدثت هذه التحولات فى الوقت الذى بدأت فيه الأمة الإسلامية تدرك الخطر الداهم الذى يتهددها من الداخل والخارج ، فهى من الداخل تعانى من تخلف علمى وضعف اقتصادى وعدم استقرار سياسى ومحدودية فى القدرات العسكرية مما يجعلها بحاجة إلى الاعتماد على الخارج سواء فى توفير احتياجاتها الأساسية أو فى حل مشكلاتها المحلية والإقليمية والدولية . وهى من الخارج مستهدفة بسبب انتمائها إلى الإسلام ذلك الدين القوى الذى تشكل مبادئه مشروعا حضاريا شاملا هدفه وغايته سعادة الأفراد والمجتمعات البشرية دنيا وآخرة وأسسه الحق والعدل والمساواة والحرية ومحاربة

الظلم والاستغلال ، وبسبب ثرواتها الطبيعية التى تشكل نحو ربع ثروات العالم والتى تؤهلها لدور متعاظم فى صناعة الحضارة الإنسانية وصياغة مستقبل البشرية .

وخروج الأمة الإسلامية من هذا المأزق يتطلب تغييرات فى البنية الفكرية للمجتمعات الإسلامية وفى العلاقات داخل كل مجتمع إسلامى على حدة . وفيما بين المجتمعات الإسلامية التى تشكل الأمة الإسلامية التى وصفها الله سبحانه وتعالى بأنها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله بكل ما يترتب على هذا الإيمان من واجبات نحو الله ونحو النفس ونحو الناس . ولأننا أمة يلعب الدين دورا أساسيا فى بناء عقلها وتشكيل وجدانها فلابد من أن يكون لهذا الدين دوره فى استعادة عناصر القوة لديها .. ولابد من معالجة التشرذم المذهبى والتشتت الفكرى والتفكك السياسى وتحقيق السلام الاجتماعى والأمن الإقليمى والتعاون الاقتصادى والتنسيق العسكرى وبذل جهود تعليمية وتربوية وثقافية وإعلامية جادة لتأسيس – أو إعادة تأسيس – فكر وحدوى إسلامى . ويأتى فى هذا السياق التقريب بين المذاهب الفقهية ، والمدارس الثقافية ، والتيارات والنظم السياسية والمؤسسات

الاقتصادية . ولابد أن ندرك أننا عندما نفعل ذلك إنما نتعامل مع موروث فكرى وحضارى عمره قرون . وأن هذا الموروث شديد الرسوخ وشديد التعقيد فى ذات الوقت . وأن له أسبابا ذاتية وأسبابا خارجية ، ولابد من أن نعترف بأن تغيير البنى المادية أسرع وأسهل ــ وربما أقل تكلفة ــ من تغيير البنى الفكرية ، وأننا نستطيع أن نقيم مدرسة فى بضعة شهور وأن ننشىء جامعة فى عدة سنوات ، لكن تخريج طالب فى الجامعة يحتاج إلى ستة عشر عاما فى المتوسط ونستطيع أن نتأكد من أن تنفيذ مبنى المدرسة أو الجامعة قد تم وفقا للمواصفات الموضوعة ، لكننا لا نضمن دائما وبذات الدقة مستوى خريج الجامعة الذى يخضع طوال مراحل تعليمه للكثير من المؤثرات الإيجابية والسلبية .

الإعلام .. والتأسيس لفكر

وحدوى إسلامى ـ ١

التقارب بين البشر لا يـأتى إلا عـن طريـق المعرفـة . والتقريب بين الأفكار والـرؤى والمذاهـب (والمقصـود هنـا التقريب بين المذاهب الإسلامية) لا يكون إلا بالتعريف وتبديـد الجهل وإزالة الوهم .

ولذلك فأيا كانت الجهود التى تبذلها المؤسسـات التعليميـة والتربوية والثقافية فإن الإعلام حاضر فيها جميعـا ؛ فـالدرس والمحاضرة والخطبة والندوة والمؤتمر كلها عمليات اتصاليـة إعلامية والكتاب والكراسة والصورة الثابتة والمتحركة ومكـبر الصوت ومنبر المسجد وقاعة الدراسة وشاشة السينما وخشـبة المسرح ، فضلا عن الصحيفـة والمجلـة والنشـرة الدوريـة وغير الدورية ، كلها أدوات اتصال .

والإعلام قد تجاوز الوظائف التقليدية المعروفة " الأخبار ، الترفيه ، التوجيه ، التسويق .. إلخ " وأصبح عاملا مؤثرا فى التنمية وأداة رئيسية لكسب الحروب .. ويكفى أن نلقى نظرة على الحروب التى شهدتها المنطقة العربية خلال ربع القرن الأخير لكى نرى كيف تم كسب هذه الحروب إعلاميا قبل كسبها عسكريا ، وعلى سبيل المثال فإن الصورة التى تم بناؤها للولايات المتحدة باعتبارها زعيمة العالم الحر وحامية حقوق الإنسان والحريصة على الديمقراطية لم تبن بالقوة العسكرية وحدها ولا بالمساعدات الاقتصادية فحسب ولا بالمناورات السياسية فقط ، وإنما إضافة إلى ذلك كله وربما قبل ذلك كله بالتدفق الإعلامى الهائل المتنوع والمستمر والمعتمد على أعلى درجات الإبهار .

وإذا كان الإعلام قد استخدم بمقدرة فائقة وذكاء خارق لتسويق المشروعات الثقافية والسياسية والغربية ، ثم استخدم بكثافة ونجاح فى تشويه صورة الإسلام والمسلمين وإثارة وتعبئة مشاعر العداء ضد كل ما هو إسلامى فى الغرب بصفة عامة وفى الولايات المتحدة بصفة خاصة ، فقد آن الأوان لأن يقوم الإعلام بكل وسائله وأدواته وبكافة الأساليب والمناهج

بدوره فى تأسيس الفكر الوحدوى الإسلامى سواء أكان داخل المجتمعات الإسلامية أو فيما بين شعوب الأمة الإسلامية ، كما آن الأوان لأن يقوم الإعلام بدوره فى حوار إيجابى يهدف إلى إزالة التشوهات فى العلاقة مع المجتمعات الغربية وفى صورة الإسلام والمسلمين .

إن تأسيس وإعادة تأسيس الفكر الوحدوى فى الأمة الإسلامية يتطلب تغييرا فى مناهج الفكر وفى الأنماط السلوكية للجماهير ؛ فيساعد فى محاربة سلوكيات يسعى المجتمع إلى وقفها أو تغييرها ويعاون فى إرساء قيم وبناء سلوكيات جديدة يراد بها أن تسود المجتمع ، والإعلام مطالب بأن يقوم بدوره فى إعادة تشكيل الرأى العام فى الدول الإسلامية بحيث يصب فى تيار التوحيد .

ولمعرفة الدور الذى يمكن أن يقوم به الإعلام فى هذا السياق لابد من أن نسجل التطورات الهائلة التى تحققت فى المجال الإعلامى على المستوى العام والمستوى الإسلامى فى النقاط التالية .

* التقدم الهائل فى علوم وتكنولوجيا الاتصال التى تطورت خلال القرن الماضى من وسائل مقروءة (الكتب والصحف

والمجلات) إلى مقروءة ومسموعة (بإضافة الإذاعة) إلى مقروءة ومسموعة ومرئية (بإضافة السينما والتليفزيون) وصرنا الآن نعيش فى عصر الوسائط المتعددة التى تشمل حزما من الوسائل فى وقت واحد (الكاسيت والفيديو واسطوانات الكمبيوتر والاسطوانات الممغنطة C.D والإنترنت) .

* من خلال هذا التطور صار العالم أشبه بقرية كونية صغيرة يستطيع الإنسان فيها أن يرى ويسمع ويتابع ما يجرى فى العالم فى وقت حدوثه بالصوت والصورة دون وسيط ودون رقابة .

* من خلال هذا التطور الهائل أيضا انتقل العالم إلى ما يسمى بالإعلام الانتقائى فمئات الأقمار الصناعية السابحة فى الفضاء ، وما يمكن استقباله من آلاف القنوات الفضائية أتاح للإنسان فرصة تاريخية لاختيار ما يريد أن يشاهده ويسمعه ويسجله ، ولم يعد بمقدور أى دولة أن تفرض رقابة على ما يتردد عبر موجات الأثير من كلمات وصور أو تفرض على المواطن أن يشاهد ما تريده وبفضل هذا التطور تجاوز الإعلام مشكلتين هامتين هما :

* مشكلة اللغة ، حيث تتم ترجمة البرامج والأعمال الدرامية سواء عن طريق الكتابة Sub-title أو عن طريق الصوت Voice Over أو عن طريق الدبلجة .

* مشكلة الأمية ، حيث إن الإذاعة والتليفزيون (وكذلك السينما أو المسرح) لا تشترط التعليم لاستيعاب الرسائل المبثوثة من خلالها . وهذه قضية هامة بالنسبة للدول الإسلامية التى تزيد الأمية فيها عن خمسين بالمائة من عدد السكان فى المتوسط .

* بفضل هذا التطور أيضا صار الإعلام يمارس قدرا أكبر من الحرية فى أداء وظائفه والناظر إلى الإعلام العربى سوف يلاحظ تطورا ملحوظا وزيادة واضحة فى مساحة الحرية سواء حرية الحصول على المعلومات أو حرية تقديم المعلومات أو حرية النقد . والفضل فى ذلك يرجع إلى القنوات الفضائية العربية الخاصة التى بدأت تظهر من بداية التسعينيات من القرن الماضى وتمارس قدرا كبيرا من الحرية وبدأت هذه الحرية تنتقل إلى القنوات الفضائية العربية الرسمية الحكومية وشبه الحكومية ، ثم كان لابد من أن تنتقل عدوى الحرية

وبدرجات محدودة إلى القنوات الأرضية خوفا من أن ينصرف عنها المشاهدون إلى القنوات الخاصة .

* إن الصحافة أيضا نالها قدر من التعددية إذ صارت فى المجتمع الواحد صحف رسمية وشبه رسمية وصحف حزبية وصحف مستقلة تمارس عملها بقدر متزايد من الحرية لا يقارن بما كان عليه منذ نصف قرن ، واستفادت الصحافة من مناخ الحرية فزادت حرارة النقد السياسى والاقتصاى والاجتماعى . وصار على الصحف الرسمية وشبه الرسمية أن تمارس قدرا أكبر من النقد وإلا انصرفت عنها جماهير القراء ، واستفادت الصحافة من التطور العلمى والتكنولوجى فى علوم الاتصال سواء فى جمع المواد أو استقبال المعلومات عبر الأقمار الصناعية وشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت Internet) أو أجهزة الفاكس العادية والملونة أو أجهزة الهاتف الناقلة للصورة أو فى إخراج الصحف والمجلات أو الطباعة عبر الأقمار الصناعية فى عدة مراكز سواء داخل القطر الواحد أو فى أنحاء مختلفة من العالم فى الوقت ذاته .

* بفضل هذه التطورات كلها زادت درجة الإحكام والإبهار في وسائل الإعلام واستخدامها للتقنيات الحديثة مما يزيد من تأثيرها لدى مستقبلي الرسائل الإعلامية .

* أضافت شبكة المعلومات الدولية بعدا جديدا لعملية الإعلام والاتصال وهو أن الإعلام لم يعد ذا اتجاه واحد : جهة ما تنتج المعلومات وترسلها وجهة أخرى ــ هي في الغالب مستهلك للمعلومات لا دور لها سوى استقبال المعلومات وأصبح بوسع الإنسان العادي من خلال مواقع أو عنوان بريد إلكتروني أن ينتج ما يشاء من معلومات ويتبادلها مع من يريد أو يرسل لأي شخص آخر أو لأي مؤسسة .

* وأضافت الأقمار الصناعية بعدا جديدا آخر للبرامج التليفزيونية والإذاعية هو مشاركة جماهير المشاهدين والمستمعين من خلال برامج الهواء On Air التي يدور فيها الحوار بين المشاهدين والمستمعين وبين ضيوف البرامج .

ولكي ينطلق الإعلام في البلاد الإسلامية لتحقيق الآمال المعقودة عليه في التأسيس لفكر وحدوي إسلامي فإن من الضرورة إيجاد حلول للإشكاليات التالية :

الأولى : إشكالية الحرية وهذه مشكلة مرتبطة بمساحة الحرية العامة فى المجتمعات الإسلامية وهى مساحة محدودة على المستوى العام وتكاد تكون معدومة بالنسبة للرأى المعارض فى كثير من البلاد . وتغيير الواقع يقتضى نقده وبيان ما فيه من محاسن ومثالب والنظر بطموح للمستقبل دون خوف من مصادرة الرأى أو سلب حرية الأشخاص .

الثانية : نقص التمويل الذى يمكن من امتلاك وسائل الإعلام التى تتميز بالكفاءة المهنية العالية وتتوافر لها الأجهزة والتقنيات الحديثة التى تمكنها من أداء وظائفها وتحقيق رسالتها على مستوى عالمى .

الثالثة : نقص الكفاءات الإعلامية المهنية المزودة بالمعرفة العلمية والفنية الأكاديمية مع الثقافة الإسلامية المستنيرة فمناهج الدراسة فى كليات وأقسام الإعلام فى الجامعات العامة تخلو من مناهج الثقافة الإسلامية ومناهج الدراسة فى الجامعات ذات التخصص الشرعى تخلو من دراسة علوم الاتصال الحديثة وتقنياتها . إعلاميون مفتقدون للثقافة الإسلامية المستنيرة ودعاة يفتقرون لعلوم وتقنيات العصر .

الرابعة : غياب المشروع الإسلامى العام من الفكر السياسى والخطاب الثقافى فى أغلب الدول الإسلامية . وتراجع هذا الخطاب لحساب الخطاب الوطنى أو القومى . وذلك أن ثمة فكرة خاطئة عن التعارض أو التناقض بين المشروع الإسلامى وبين المشروع القومى أو الوطنى واتجاهاً لتغليب المشروع القومى أو الوطنى على المشروع الإسلامى . وليست ثمة محاولة حقيقية جادة لإزالة وهم التناقض .

الخامسة : ضعف العمل الإسلامى المشترك بصفة عامة سواء فى المجال السياسى أو الاقتصادى أو الثقافى أو الإعلامى وفى هذا الميدان الأخير فإن ثمة مؤسسات قائمة ولها هياكل إدارية وفنية ولكنها محدودة الفاعلية هامشية الأثر ، وعلى سبيل المثال منظمة الإذاعات الإسلامية ، ووكالة الأنباء الإسلامية . ولكن دور منظمة الإذاعات دور تنسيقى محدود . ووكالة الأنباء الإسلامية لا ذكر لها على مستوى الإعلام الإسلامى فما بالنا بالعالمى .

وقد عقدت مؤتمرات عدة لوزراء الإعلام فى الدول الإسلامية ومثلها لوزراء إعلام الدول العربية واتخذت قرارات متعددة بشأن التنسيق وتبادل الخبرات والفنيين والمعلومات

والبرامج . ولكن ثمار هذه القـــرارات جـــد محـــدودة . وقـــد اتخذ وزراء إعلام الدول الإسلامية قراراً منذ ســـنوات بعيـــدة بإطلاق قمر صناعى إسلامى وإنشاء قناة فضائية إسلامية باســـم Islam Vision ولكن هذا المشروع مازال يتعثر بســـبب غيـــاب الإرادة السياسية .

السادسة : غياب ثقافة الحوار زمناً طويلاً . ولقد أدركنـــا مؤخراً قيمة الحوار كضرورة حياة . ولكن الغريب أننـــا فـــى الوقت الذى نهتم فيه بالحوار مع الآخـــر الحضـــارى والدينـــى باعتباره ضرورة ، ونغفل الحـــوار الداخلـــى مـــع أنـــه فـــى حكم الفريضة وقد آن الأوان لحوار داخلى عام سياسى ودينـــى وثقافى شامل .

رؤية للمستقبل :

ولكن .. هل وجود هذه الإشكاليات هنا يعنـــى أن نؤجـــل دور الإعلام فى جهود التقريب بين الشعوب الإســـلامية إلـــى أن يتم علاج مشكلات الإعلام وتصحيح أوضاعه ؟؟

بالطبع لا . فيجب المضى فى الأمرين معاً :

* تفعيل دور الإعلام والاستفادة بالإمكانات المتاحة وهـــى كثيرة ومتنوعة فى التقريب بين الشعوب الإسلامية . وإصـــلاح أوضاع الإعلام فى الدول الإسلامية .

* توفير مزيد من الإمكانات له ومنحه مزيداً من الحريـــة من ناحية ثانية وتفعيل دور المؤسسات الإعلاميـــة الإســـلامية المشتركة .

ومن هنا نرى أنه يجب أن تنصب الجهود فى عدة اتجاهات :

* **الاتجاه الأول** : معالجة الإشكاليات التى أشرنا إليها داخل كل بلد إسلامى ليقوم الإعلام بدوره فى خدمة قضايـــا وطنـــه أولاً ثم قضايا أمته .

* **الاتجاه الثانى** : الاستفادة بالإمكانات الحالية المتوافـــرة داخل كل بلد وتنظيم دورها فى خدمة هذه القضايـــا بالتوجيـــه والإرشاد وإذكاء روح المنافسة .

* **الاتجاه الثالث** : الاستفادة بالإمكانات الإعلامية الحديثـــة القائمة خاصة القنوات الفضائية فى بث برامج مشـــتركة تخـــدم قضايا الوحدة الإسلامية .

* **الاتجاه الرابع** : تفعيل الكيانات الإعلامية المشتركة مثـــل منظمة الإذاعات العربية ومنظمة الإذاعات الإسلامية ووكالـــة

الأنباء الإسلامية حتى تقوم بدورها المنتظر والمنصوص عليه في قوانين تأسيسها .

* **الاتجاه الخامس** : إنشاء مؤسسات إعلامية جديدة وحديثة ومستقلة إدارياً ومالياً تعمل على مستوى عالمى وبلغات مختلفة تخدم فى الأساس قضية الوحدة الإسلامية ببرامج متطورة وجذابة ، وتساعد على استقلال وسائل الإعلام الإسلامية عن المؤسسات الإعلامية الغربية التى تترجم وتخدم سياسات دولها الساعية للهيمنة على العالم .

* **الاتجاه السادس** : الاستفادة بتقنيات العصر وهى متاحة للجميع من شبكة معلومات دولية إلى وسائط متعددة للمساعدة فى تأسيس تيار فكرى إسلامى عام .

* **الاتجاه السابع** : إعادة النظر فى مناهج الدراسة فى كليات وأقسام الإعلام وإضافة مناهج الثقافة الإسلامية إلى هذه المناهج . وتزويد الدعاة بثقافة الاتصال بحيث نُخَرِّج إعلاميين ذوى خلفية إسلامية ونخرج دعاة ملمين بثقافة العصر .

* **الاتجاه الثامن** : إنشاء آلية لدراسة ومتابعة تنفيذ ما صدر عن وزراء الإعلام فى الدول العربية والإسلامية من قرارات وتوصيات والعمل على تحويلها إلى خطط وبرامج عمل .

التقينا كثيراً . وتحاورنا طويلاً . وكان حوارنا دائماً يـــدور حول الجهود التى تبذل ــ والتى يجب أن تبـــذل ــ للارتقـاء بالمسلمين من ناحية ، وللتقريب بينـــهم مـــن ناحيـــة ثانيـــة . وللدفاع عن الإسلام والمسلمين بفاعلية من ناحية ثالثة . ومضت فترة ــ بدت لى طويلة جداً ــ لم نلتق خلالها . إلى أن جمعتنى والدكتور عبد العزيز التويجرى مدير عام المنظمة الإســـــلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) اجتماعات مؤتمر التقريـــب بين المذاهب الإسلامية ووحدة الأمة الذى عقد بالبحرين تحـــت رعاية عاهلها الملك حمد بن عيسى آل خليفة وبمشاركة ما يزيـد على مائة من كبار علماء الأمة الإسلامية من السنَّة والشيعة .

قلت للدكتور التويجرى : هذا المؤتمر ليس أول مؤتمر مـــن نوعه بل هناك مؤتمرات أخرى سبقته . والإيسيسكو سبق لها أن عقدت ندوتين حول نفس القضية فى العقد المـــاضى . وكـــان مقرراً بعد الندوة الأولى أن تعقد الثانية خلال عـــام أو عـــامين

لكنها لم تعقد إلا بعد خمس سنوات فما هو الجديد ومن الواضح أننا نفتقر إلى الإرادة السياسية للتقريب ؟

قال الدكتور عبد العزيز التويجرى : ما أشرت إليه صحيح لكن الجديد كثير . فمن الواضح أن الأخوة فى البحرين كانوا حريصين على توفير كل الإمكانات والظروف التى تؤدى لنجاح المؤتمر والوصول إلى توصيات عملية قابلة للتنفيذ . من ناحية أخرى فالأمة الإسلامية تواجه تحديات جمَّة تهدد وجودها وكيانها فى الحاضر قبل المستقبل ولا سبيل لمواجهة هذه التحديات إلا سبيل وحدة الأمة ولا سبيل لتحقيق وحدة الأمة إلا بتجاوز خلافاتها والتقريب بين مذاهبها مع التسليم والاعتراف بخصوصية أصحاب كل مذهب . ومن ناحية ثالثة فإن الجهود التى بذلناها خلال أكثر من عشر سنوات قد تكللت بوضع استراتيجية متكاملة للتقريب . وقد قدمت هذه الاستراتيجية لمنظمة المؤتمر الإسلامى لاعتمادها .

قلت له : ولماذا لا تتجهون للدول أو المنظمات المعنية داخل الدول الإسلامية بدلاً من المنظمة التى هى متهمة بعدم الفاعلية ؟

قال : منظمة المؤتمر الإسلامى هى المنظمة الأم ولابد من أن نتحرك من خلالها وهى تعمل حسب ما تسمح به ظروفها وحسب استعداد الدول الأعضاء .

قلت : ولكن هل تشعر أن ثمة فرصة لتحقيق نجاح فى هذا المجال ؟

قال : إدراك المشكلة والاعتراف بأن هناك مشكلة هو بداية الطريق للنجاح . وكما لمست فإن محاورات علماء السنَّة والشيعة كشفت عن أن هناك إدراكاً لوجود مشكلة ورغبة فى حلها ليس بالمواجهة ولا بالتجاهل وإنما بالحوار العلمى من جانب والاتفاق على عدم إتاحة الفرصة لخلافات أصبحت فى ذمة التاريخ لأن تصادر على حاضر الأمة ومستقبلها ، خاصة مع وجود تحديات خارجية تهدد كيان الأمة ، ولابد من الاعتراف بالاختلافات واحترامها باعتبارها سبباً للسعة على الأمة وليست سبباً للتمزق والصراع والتعصب المذهبى على حساب وحدة الدين والأمة ، فالمكاشفة مطلوبة والخلاف مقبول بمنطق أن نتعاون فيما نتفق فيه ويعذر بعضنا بعضا فيما نختلف فيه .

وباختصار : إذا لم نتفق الآن ونتوحد وأمتنا مستهدفة فمتى نتوحد ؟؟

قلت : إذا كان هذا هو الحال بشأن الحوار الداخلي ــ الحوار المذهبي ــ فماذا عن الحوار مع الغرب ؟

قال : الحوار مع الغرب قائم ومستمر وفى أكثر من مجال . فثمة حوارات ثقافية عامة لاستجلاء موقف الإسلام الحضارى فى قضايا معينة . وثمة حوارات بين علماء الدين من الجانبين الإسلامى والمسيحى . وثمة مطبوعات متعددة صدرت بلغات مختلفة . وثمة رصد لما ينشر حول الإسلام وردود عليه بالإيضاح والتعليق .

قلت : وهل هناك نتائج ملموسة حتى الآن ؟

قال الدكتور التويجرى : نحن نعمل لتصحيح صور ذهنية مشوهة عمداً وعلى مدى فترة طويلة من الزمن . ونعمل على تغيير فكر وتوجهات ومواقف ونسعى لتغيير سياسات ومناهج دراسية . وهذا كله لا يمكن أن يتم بين يوم وليلة ولا فى عام أو عامين ولكنه يحتاج إلى زمن طويل وإلى جهد متواصل فى جهات متعددة ولا يكفى فيه جهد منظمة الإيسيسكو وحدها . فعلماء الدين لهم دور ، والكتّاب والمفكرون لهم دور .

المؤسسات العلمية والتعليمية لها أدوار ، والمؤسسات الثقافية لها أدوار ، والإعلام له دور كبير أيضاً . ويجب أن تتكاتف كل هذه المؤسسات وتتكامل جهودها . ولا ننسى أيضاً الجهود الدبلوماسية التى تنسق كل هذه الجهود وتكملها .

قلت : ولكن البعض يؤمنون بحتمية صدام الحضارات وهم بذلك يعنون الصدام مع الإسلام .

قال : كما قلت أنت أن الذين يؤمنون بهذا هم البعض وليس كل المفكرين ، أو الساسة ، أو الشعوب الغربية . فالغرب ليس واحداً وليس الجميع متفقين على حتمية صدام الحضارات وعلينا أن نستثمر الفروق فى مستويات وتوجهات الفكر الغربى وننطلق من إيماننا بتفاعل الحضارات وليس صدام الحضارات وأودُّ هنا أن أؤكد مبدأً مهماً جداً وهو أن وجود عوائق وصعوبات وعناصر متعصبة ومعادية يجب ألا يصيبنا باليأس ويصرفنا عن أهدافنا ، بل إن الواجب هو أن يزيدنا ذلك إصراراً على أهدافنا مادمنا واثقين من عدالة قضيتنا وصدق توجهاتنا .

قلت : وماذا عن الحوار الثقافى الداخلى فى الدول الإسلامية وعلى مستوى الأمة الإسلامية ؟

قال الدكتور عبد العزيز التويجرى : إن الحوار الثقافى الداخلى ضرورة حياة ، وكما نطالب بالاعتراف بالآخر المختلف عنا دينياً وحضارياً يجب أن يكون هناك حوار داخلى لكل ألوان ودرجات الطيف الثقافى سواء على مستوى كل دولة إسلامية ، أو على مستوى الأمة الإسلامية . وإذا كنا على المستوى الدينى نطالب بالاعتراف بالخلاف والعمل على تأسيس فقه الاختلاف فنحن بحاجة إلى الائتلاف الثقافى العام وأن تكف التيارات الثقافية عن التراشق بالاتهامات : اتهامات التكفير من جانب ، واتهامات التطرف والإرهاب من جانب آخر . فالأمة الإسلامية بحاجة إلى جهود كل أبنائها مسلمين وغير مسلمين .

قلت للدكتور التويجرى : مازالت القضايا معلقة والأسئلة حولها كثيرة .

قال : والحديث بيننا موصول إن شاء الله .

النهوض بالعمل الثقافى الإسلامى — ٢

فى الحديث السابق عرضت طرفاً من حديث طويل دار بينى وبين الدكتور عبد العزيز التويجرى أمين عام المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة " الإيسيسكو " حول قضايا الأمة الإسلامية خصوصاً فى هذه المجالات الحيوية الثلاثة : التعليم والتربية والعلوم والثقافة وخاصة فى ظل الهجمة التى تتعرض لها الأمة الإسلامية فى الوقت الحاضر والتى تركز بشكل خاص على الجوانب الدينية والفكرية والثقافية . ونستكمل جوانب هذا الحديث الشيق . والدكتور عبد العزيز التويجرى حين يتحدث فإنه لا يتحدث باعتباره مسئولاً كبيراً عن منظمة مهمة من منظمات العمل الإسلامى المشترك . ولكن إضافة إلى ذلك باعتباره مفكراً وكاتباً لا يكتفى بالعمل الإدارى مهما بلغت كفاءته وما يتم خلاله من إنجازات ، بل يهتم بدرجة كبيرة بالتأليف والتأصيل وإقامة جسور قوية من العلاقات مع مفكرى ومثقفى وكتاب الغرب لإدارة حوار عقلانى هادئ وفعال يصب

فى خدمة تحسين العلاقة بين الأمة الإسلامية وحضارتها وبين الحضارات الأخرى وخاصة الحضارة الغربية من خلال تنمية العناصر المشتركة والبناء عليها والعمل على إزالة المخاوف والشكوك والتحيزات المسبقة الناجمة عن سوء الفهم أو الحساسيات التاريخية .

ولعل من المصادفات الطيبة أن يأتى الحديث فى إطار لقائى والدكتور التويجرى فى سياق مؤتمر التقريب بين المذاهب الإسلامية ووحدة الأمة وهو من المؤتمرات المهمة التى عقدت للنظر فى إزالة عقبات التفاهم والحوار والتقريب بين المذاهب الإسلامية باعتبار أهمية هذه الخطوة لتوحيد جهود الأمة من أجل تحقيق النهضة من جهة ، ومواجهة التحديات المفروضة عليها من جهة ثانية ، كذلك فإن اللقاء ذاته صادف احتفال المنظمة بمرور ٢١ عاماً على إنشائها وهى فترة تعددت فيها الأنشطة والبرامج التى نفذت وفقاً لمجموعة متكاملة من الاستراتيجيات التى شملت كافة مجالات اختصاص المنظمة .

وهذه الاستراتيجيات هى : استراتيجية تطوير التربية فى البلاد الإسلامية عام ١٩٨٨ ، والاستراتيجية الثقافية للعالم

الإسلامى التى اعتمدتها القمة الإسلامية فى داكار عـام ١٩٩١م واستراتيجية تطوير العلوم والتكنولوجيا فى البلدان الإسلامية التى اعتمدتها القمة الإسلامية بطهران عام ١٩٩٧م ، واستراتيجية العمل الثقافى الإسلامى فى الغرب واعتمدتها القمة الإسلامية فى الدوحة عام ٢٠٠٠م ، واستراتيجية الاستفادة من العقول المهاجرة فى الغرب واعتمدت فى مؤتمر خارجية الدول الإسلامية بالخرطوم عام ٢٠٠٢م . أما أحدث الاستراتيجيات التى انتهت المنظمة من وضعها فهى استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية ، وقد جرت العادة على أن وضع كل من هذه الاستراتيجيات يكون مسبوقاً بسلسلة من الدراسات والاجتماعات والندوات والمؤتمرات التى يحضرها العلماء والخبراء والمتخصصون من كل البلاد الإسلامية بحيث تكون الاستراتيجية الموضوعة معبرة عن التنوع ومستوعبة للخصوصيات الإقليمية والداخلية وقابلة للتطبيق بحيث تحقق أهدافها .

وفى إطار هذه الاستراتيجيات تم تنفيذ عدد من المشروعات الحضارية الكبرى ، وقد لفت نظرى من بين هذه المشروعات مشروع كتابة لغات الشعوب الإسلامية بالحرف القرآنى . وقد

تم تنميط كتابة إحدى وعشرين لغة أفريقية ، وأنتجت المنظمة آلة طباعة خاصة بهذه اللغات وعممتها على الدول المعنية كما أنتجت حروفاً يدوية خاصة بهذه اللغات ، وقد بدأت المنظمة تنفيذ الجزء الثانى من المشروع فى دول آسيا الوسطى بالتعاون مع البنك الإسلامى للتنمية وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومعهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط .

أما فى مجال العمل على تصحيح صورة الإسلام خصوصاً فى الغرب فيقول الدكتور عبد العزيز التويجرى إن الإيسيسكو تعمل فى هذا المجال منذ ما قبل أحداث ١١ سبتمبر .. وكثفت نشاطها بعد هذه الأحداث والهجمة الضارية على الإسلام والمسلمين . وهى تعمل على مستويين :

الأول : إصدار الكتب والدراسات بعدة لغات " فضلاً عن مجلة الإسلام اليوم الدورية والنشرة الإعلامية والفصلية التى تصدر بثلاث لغات " وعقد الندوات الدولية المتخصصة ، وفى هذا الإطار عقدت المنظمة ندوتين مهمتين هما : الندوة الدولية حول " صورة العالم الإسلامى فى الإعلام الغربى بين الإنصاف والإجحاف " بالرباط فى يناير ٢٠٠٢م والندوة الدولية حول " **الغرب والإسلام فى وسائل الإعلام** " بلندن فى يونية ٢٠٠٢م

وذلك بخلاف مشاركة المنظمة فى العديد من الندوات والمؤتمرات العالمية .

وأحدث ما تقوم به المنظمة فى الوقت الحاضر فى هذا الإطار هو إعداد " برنامج مفصل للرد على حملات التشويه الإعلامى للإسلام والحضارة الإسلامية .

محتويات الكتاب